المتنبى

بين محمود شاكر وطه حسين

تأليف

الدكتور عبد الحميد القط

الطبعة الأولى

١٩٩٢



دار المعارف

الفهرس

الصفحة

تمهيـــد

اخترت هذا البحث وجعلت عنوانه «المتنبى بين محمود شاكر وطه حسين» وذلك لكى أقدم جهد الباحثين فى دراسة هذا الشاعر العظيم الذى كثرت الدراسات حوله فى القديم والحديث . ولكننى فى هذه الدراسة بطبيعة الحال لايمكننى أن أتجاهل دراسات أخرى سبقت الدراستين كدراسة الأستاذ العقاد للمتنبى فى ثمانى مقالات بين سنتى ١٩٢٣، ١٩٢٤، وهى تسبق كتاب المتنبى لمحمود شاكر الذى نشر سنة ١٩٣٥ ، وكذلك كتاب مع المتنبى لطه حسين، وكذلك كتاب عبد الوهاب عزام الصادر قبل كتاب طه حسين فى سنة ١٩٣٥ .

ومقالات الأستاذ العقاد تثير عددا من القضايا حول المتنبى ، مثل قضية ادعائه للنبوّة (١) ، كما تثير قضيةّ فنيّة فى شعره ، وهى ولعه بالتصغير (٢) ، كما يتحدث فى مقال آخر عن شهرة المتنبى (٣) ، ثم يتناول فى مقال رابع فلسفة المتنبى (٤) ، ثم يعقد مقارنة بين فلسفة المتنبى وفلسفة نيتشه (٥) ، ثم يقارن بين فلسفة المتنبى فى ضوء فلسفة نيتشه وداروين (٦) ، ثم يتناول فن المتنبى بالدراسة (٧) ، وقد نشرت هذه المقالات ضمن كتاب مطالعات فى الأدب والحياة للأستاذ العقاد سنة ١٩٢٤.

ثم تأتى دراسة الأستاذ محمد محمود شاكر بعدها بإحدى عشر عاما تقريبا وكذلك دراسة عبد الوهاب عزام ، وطه حسين ، ولن يقتصر بحثنا على كتابى طه حسين ، ومحمود شاكر ، وإنما سوف نتناول منهجهما وآراءهما بالعرض والتوضيح مستعينين بالدراسات الأخرى التى تناولت الشاعر قديما وحديثا بالقدر الذى يخدم هدفنا، وهو بيان الجهد الذى قدمه الباحثان من خلال معارفهما الحديثة ، واتكائهما على الآثار الاجتماعية والنفسية والبيئية على شعر الشاعر وحياته معا .

---

(١) عباس محمود العقاد . مطالعات في الكتب والحياة . دار المعارف . القاهرة. الطبعة الرابعة .
(٢) المرجع نفسه ص ١٢٦ – ١٣٢ / ١٩٨٧ ص ١٢١ – ١٢٥ .
(٣) المرجع نفسه ص ١٣٣ – ١٣٩ ويعود إلى الموضوع نفسه ص ١٤٠ – ١٤٤
(٤) المرجع نفسه ص ١٤٥ – ١٥٦
(٥) المرجع نفسه ص ١٥٧ – ١٦٥
(٦) المرجع نفسه ص ١٦٦ – ١٧٤
(٧) المرجع نفسه ص ١٧٥ – ١٨٠

أن نصف الدراسة التى بين أيدينا ، بأنها محاولة لكتابة سيرة أبى الطيب المتنبى فى أطارها التاريخى والنفسى ، على نحو ما كان يفعل «سانت بيف» فى دراساته النقديّة المعروفة (١) ، ويقول محددا عناصر منهج طه حسين: «ونستطيع أن نحدد هذا المنهج، ونحصر عناصره، فى أن شخصية الشاعر ، نتاج لهذه الظروف المختلفة التى كان يعايشها . من البيئة ، إلى الوسط الاجتماعى الخاص والعام ، إلى العصر بكل ماضيه وواقعه الحضارى ، وأن شعر الشاعر هو الآخر نتاج هذه الشخصيّة التى شكلتها ظروف حياتها على هذا النحو أو ذاك (٢) ، وهو باختصار يستخدم مذهب تين فى النقد القائم على البيئة والجنس والعصر (٣) .

والمتنبى محظوظ بطبيعة الحال ، فقد نال من الدراسات الكثير ، يقول عنه كارل بروكلمان: «وما يزال المتنبى يحتفظ بمجده وشهرته الشعريّة إلى يومنا الراهن ، كما شهد بذلك تكريم جميع الناطقين بالعربيّة لذكراه فى عيده الألفى سنة ١٩٣٥ م . ولا يزال ديوان المتنبى إلى جانب مقامات الحريرى أشهر ما يقرؤه الأدباء فى إقليم «عمان» السحيق. وكان نصيف اليازجى على وجه الخصوص هو الذى أحيا شهرة المتنبى فى بلاد الشام . أما فى الأدب المصرى الحديث فقد اقتفى بخاصّة آثار المتنبى كل من محمود سامى البارودى ، واحمد شوقى، بيد أن شعراء الفرس كذلك تأثروا تأثرا عميقا بشعر المتنبى (٤) .

وسوف يعرض البحث للموضوعات السابقة وغيرها ، فى محاولة لعرض حقائق ماتعرض له الباحثان فى كتابيهما على ضوء أقوال القدماء والمحدثين جهد الطاقة .

دكتور عبد الحميد القط

---

(١) الدكتور ابراهيم عبد الرحمن . والدكتور عفت الشرقاوى . دراسات عربية . مكتبة الشباب القاهرة . ١٩٧٧ ص ٦١ .

(٢) المرجع نفسه ص ٥٥

(٣) المرجع نفسه ص ٥٩ – ٦١

(٤) تاريخ الأدب العربى حـ ٢ . ترجمة دكتور عبد الحليم النجار . دار المعارف – القاهرة ط ٢ ، ١٩٦٨ ص ٨٤ .

البـاب الأول

حياة المتنبى

الباحثان والمتنبى

يبذل الأستاذ محمود شاكر جهدا كبيرا فى دراسة حياة المتنبى وشعره . وقد واجهته مشاكل فى دراسته تلك ، وأولها نسب المتنبى (1) ، وترتيب شعره فى قسمه الأول من ديوانه ، وتحقيق بعض الأمور الخاصة بحياته ، وقد تتبع المتنبى فى الكوفة وبغداد ، والشام ، قبل وصوله إلى سيف الدولة ، وتحدث عن علاقته به ، وسبب رحيله عنه ، وذهابه إلى كافور ثم انتقاله من بلاط كافور إلى العراق ، ثم إلى فارس ، إلى أن قتل . وقد اقتنع الأستاذ محمود شاكر بأن المتنبى عربى ، وأضاف إلى ذلك أنه علوى ينتسب إلى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وحاول أن يحل مشكلة واجهت غيره من الباحثين وهو ما وجده فى فى شعره من الثورة ، والخروج ، لتحقيق شىء ما ، فحلت له علوية المتنبى مشكلة هذا الشعر ، فخروجه هو لتحقيق نسبه ، والانتقام من العلويين الذين حرموه من هذا اللقب الشريف. وسوف نناقش هذا فى داخل البحث .

ومن القضايا الهامة التى تعرض لها الأستاذ محمود شاكر قضيّة ادعائه النبوة ، وقد رفضها ، كما تعرض لقضية أخرى وهى عروبة المتنبى ، أو بعبارة أخرى تعصب المتنبى للعرب ، ضد الأعاجم الذين كانوا يسيطرون على مقاليد الأمور فى أغلب بقاع الدولة الإسلامية ، ويتناول بالبحث علاقة المتنبى بسيف الدولة وهو فى رأيه علوى كالمتنبى ، وتربطهما علاقة وطيدة ، ويحدد علاقة المتنبى به بسنة ٣٢١ هـ حيث مدحه لانتصاره على بنى ضبه وقوم آخرين . ولما كان خروج المتنبى من عند سيف الدولة بعد ذلك الزمن الطويل فرارا من بلاطه ، ودون إذنه . فقد رأى الأستاذ محمود شاكر أنه لابد أن يكون وراء ذلك سبب ذو خطر ، لا لمجّرد المكائد والدسائس بين المتنبى والشعراء وأحد اللغويين ، فقد اشترك فى هذا العداء أبو العشائر الذى كان صاحب الفضل فى تقديم الشاعر لابن عمه سيف الدولة . ولذا رأى أن ذلك كان بسبب حب المتنبى لخولة أخت سيف الدولة .

ويتعرض كذلك لبعض القضايا الفنية فى شعر الشاعر ، وهو ما سنتناوله بالتفصيل فى داخل البحث .

---

(١) ابن رشيد العمدة جـ١ ، ط٥ . ص٨٩ حيث يرى ابن رشيق أن هناك غموضا في نسب المتنبى وإن اعتبره آخر الشعراء الفحول فى الشعر العربى يقول : «ويختمون الشعر بأبى الطيب وهو خاتمة الشعراء لا محالة ، وكان ينسب فى كنده ، وهى رواية ضعيفة . وإنما ولد في كندة بالكوفة فيما حكى ابن جنى وإلا فكان غامض النسب . فيقولون : بدىء الشعر بكنده - يعنون امرأ القيس وختم بكنده يعنون أبا الطيب . وزعم بعض المتأخرين أنه جعفى .

إلى اتصاله بأبى العشائر بن حمدان وعلاقته به ، وكيف عرفه بسيف الدولة.

والقسم الثالث من الكتاب أو الكتاب الثالث كما يسميه صاحبه ، فعن علاقة المتنبى بسيف الدولة ، وهو يوضح رقى شعره فى بلاطه . ويركز على النواحى الفنية فى شعره فى تلك الفترة ويوضح أثر البيئة (أو بلاط سيف الدولة) على شعر المتنبى وعلى جودة ذلك الشعر . لما تهيأ له فى تلك البيئة الجديدة من فراغ ، ولما وجد فيها من خصب ، وعطاء ، وثقافة ، ثم ما كان يقوم به الأمير الحمدانى من حروب مع الروم ، وبعد ذلك كله ما تمتع به الشاعر من ثقافة جعلته يتكيف مع تلك البيئة ، ويستفيد منها فنيا وثقافيا (١) .

ثم يحدثنا عن رحيل المتنبى عن سيف الدولة وعن أسباب ذلك الرحيل فى الكتاب الرابع أو القسم الرابع من الكتاب والذى يتناول حياة أبى الطيب فى مصر، وفى بلاط كافور الإخشيدى ويشير فى أثنائه إلى الأسباب التى دفعت المتنبى إلى الذهاب إلى مصر لا إلى بغداد ، ثم يشكك فى بعض الأخبار التى تتحدث عن إقامة المتنبى فى دمشق والرملة قبل أن يذهب إلى مصر ويقارن بين البيئتين المصرية والحلبيّة فمصر بيئة اطمئنان واستقرار وليس كذلك الحال بالنسبة لحلب .

ثم هو يعرض لأثر البيئة المصرية على المتنبى وعلى شعره ، كما يعرض للعلاقة بين المتنبى وكافور ، ويرى أن موقف الأخير وأعوانه كان طبيعا بالنسبة للمتنبى ، فالمصريون وعدوه بالولاية والسلطان ، ولم يفوا بوعدهم ، أما هو فحلم بأن يكون واليا أو حاكما فى اقليم لاشاعرا مأجوراً ، وهو تحليل نفسى يعتمد فيه طه حسين على ما يروى من أن المتنبى كان يطلب السلطان شابا ولم يتحقق له ذلك فقد عرضت وتهيأت له الفرصة المواتية فى بلاط كافور ، وهكذا يمضى فى الكشف عن نفسية المتنبى والظروف المحيطة ثم يتحدث عن أثر البيئة المصرية فى شعره ثم يوجه ملاحظاته النقدية لهذا الشعر مستجيدا بعضه ، غير مستجيد بعضه الآخر .

وأما الكتاب الخامس ، أو القسم الخامس من الكتاب فعن المتنبى فى العراق سواء فى الكوفة أو بغداد، وهل كان ينوى الرجوع لسيف الدولة أم لا . كما يتعرض لموقفه فى بغداد ، وسياسته فى التعامل مع نظام الحكم فيها . ثم عن توجهه لمدح ابن العميد ، ثم عضد الدولة ، وهو فى هذا القسم لا ينسى أثر البيئة على شعر المتنبى ، وأثرر ابن العميد على ذلك الشعر بوصفه ناقدا خبيرا بجيد الكلام ورديئه .

---

(١) المرجع نفسه ص ١٨٤

نسب المتنبى بين محمود شاكر وطه حسين

يحظى نسب المتنبى بأهمية كبرى فى كتاب «المتنبى» لمحمود محمد شاكر ، فى حين أننا لانجد مثل هذا الاهتمام بنسبه فى الكتب القديمة ، إلا فى أثناء حديثهم عن ترفعه عن مدح المهلبى وزير معز الدولة ببغداد ، مما جعل الأخير يثير الشعراء ضده ويحرضهم على هجائه [1] ، وقد ذكر الثعالبى شيئا آخر عن نشأة المتنبى فقال : « ذكرت الرواة أنه ولد بالكوفة في كندة سنة ثلاث وثلاثمائة ، وأن أباه سافر إلي بلاد الشام ، فلم يزل ينقله من باديتها إلي حضرها ، ومن مدرها إلى وبرها ، ويسلمه فى المكاتب ، حتى توفى أبوه ، وقد ترعرع أبو الطيب ، وشعر وبرع» [2] .

فهذا يخالف ما هجى به من أن أباه كان سقاء يدعى عيدان السقاء ، مثل قول بن لنكك هاجيا له :

قـولاَ لأهــل زَمـانٍ لاَخـلاَقَ لــهـم	ضلُّوا عَنِ الرُّشْدِ مِنْ جَهْلٍ بهم وَعموا
أعـطَيتُموا المتنبـى فــوق مُنْيَتــه	فزَوِّجــُوهُ بِرَغـــْم أمُّهـاتِـكـُـم
لكـن بغداد جـَادَ الغيثُ سـاكِنَهـا	نِعَالُهم فِى قفـا السُّقـاءِ تَزْدَحِـمُ [3]

فهجاه بأن أباه كان سقاء [4] .

وقد بذل محمود شاكر جهدا كبيراً فى الكشف عن هذا النسب الذى يرى أن القدماء لم ينقلوه إلينا صحيحا . كما بذل جهدا آخر فى التأريخ لشعر المتنبى فى القسم الخاص الذى لم يكم

---

(١) انظر البديعى . الصبح المنبى ص ١٤٣ وانظر أيضا ص ١٤٤ ، ١٤٥

(٢) أبو الطيب ما له وما عليه ص ٣١ ، ٣٢

(٣) الصبح المبنى ص ١٤٥

(٤) وانظر د. صلاح عبد الحافظ ، الصنعة الفنية في شعر المتنبى . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٨٣ ص ٤٠ حيث يرجح بناء على ما يروى فى شأن نسب المتنبى وتكتمه هذا النسب ، أن يكون نسبه غير شريف ، وإن كان لا يقطع بشيء في هذا الأمر ، وانظر فتحى رضوان . مجلة الشعر . عدد ١٠ ، ابريل ١٩٧٨ « نسب المتنبى عند محمود شاكر ص ٢٢ - ٢٩ . حيث يرى أن المتنبى كان وضيع النسب مؤكدا رأيه بعدد من الأدلة ، كاختلاف المؤرخين فى نسبه ووقوفهم عند حد معين ، ومنها أن الشعراء لم يهجوه بضعة هذا النسب ، ولكن ذلك لا يعنى أنه كان شريفا . وأيضا سكوته هو عن نسبه ، وفخره بنفسه ، ويرجح أن يكون المتنبى يملك نفسا غير سوية أو مريضة نتيجة لهذا النسب الوضيع ، وغير ذلك .

أثناء الإعداد للثورة العباسية ، وأنها أرسلت ابنها إليه وهو خليفة ، ومع أشياء كان قد تركها لها لإثبات بنوة الإبن إذا كبر ، وقد جاء الطفل إلى الخليفة وقد أصبح شابا ، ولكنه يقتل بالسم قبل أن يعلن الخليفة النبأ ، وبذلك الجرم يقتل الخليفة من كان قد وكله برعاية ابنه فقتله [1] وقصة الخليفة العباسي وولده – إن صحت – لا تنطبق بالضرورة على المتنبي ووالده العلوي . حتى تصبح سندا تقوم عليه نسبة الرجل ، ويبنى عليها تاريخ حياته كله .

ومع أنه يبدأ قصة علوية المتنبي على أنها ليست أكثر من ترجيح للظن [2] إذ لا دليل عليها يمكن الركون إليه [3] ، لا من التاريخ ولا من غيره من الروايات الموثقة فإنه يقول قولا قاطعا : «فاصبحت على المتنبي عيون الفاطميين ، وعيون العلويين ، وعيون الدولة القائمة في الشام . فلما ظهر في بني عدى أرسلوا في القبض عليه ، فطاردوه من بلد إلى بلد ، وكان يستخفى منهم ، حتى وقع أخيراً في يد (ابن على الهاشمي العلوي) في قرية يقال لها كوتكين ، فقبض عليه وأمر النجار بأن يجعل في رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف [4] . فعلوية المتنبي التي كشف عنها كانت وراء سجنه في الشام ، وكان العلويون هم الذين وضعوه في السجن لهذا السبب [5] .

ولانريد أن نستطرد في بيان ذلك ، لأنه لا دليل على كل ذلك من وثيقة تاريخية أو رواية موثقة ، وإنما هي مجرد استنتاجات يعوزها الدليل . مما كان رجال السياسة مشغولين بخطورة المتنبي السياسية ، وإنما كانوا مشغولين بشعره ، طلبا للمجد والشهرة ، أو الدعاية . وقد طلب مدحه كثيرون من عظماء عصره ، وكذلك طلبه غير العظماء . ومن المعروف أن "كافور" استدعاه إلى مصر

---

(١) المرجع نفسه ص ٥٣ ، ٥٤ ، وانظر المرجع نفسه ص ٤٦ – ٤٨ .

(٢) المرجع نفسه ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) وانظر عبد العزيز الدسوقي . في عالم المتنبي . دار الشروق . بيروت . لبنان ، ١٩٨٤ ص ١٥٥ ، ١٥٧ حيث يرى أن محمود شاكر ، لم يستطع إثبات ما يدعيه للمتنبي من علوية ، ويراها قصة خيالية . وانظر أيضا المتنبي جـ ١ ، ص ١٨٥ حيث يرى الأستاذ سعيد الأفغاني أن ما ذكره محمود شاكر عن نسب المتنبي ، إنما هو خيال جميل .

(٤) محمود شاكر . المتنبي جـ ١ . مرجع سابق ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

(٥) انظر الدكتور نعمان القاضي . كافوريات أبي الطيب . مركز كتب الشرق الأوسط ومكتبتها . القاهرة ، ١٩٧٥ ص ٦٥ . حيث يرى أنه لو كان لأبي الطيب المتنبي أب علوي شريف، لأنشد فيه القصائد الروائع ، ولتغنى بذكراه . كما يذكر أن الدعوة إلى العلوية لم تكن قاصرة علي من ينتسبون إلى على وحدهم ولا يشترط في دعاتها ذلك ، وهو أيضا يرى أن هذا الفرض لا يحل مشكلة نسب المتنبي بل يزيدها تعقيداً . وأن من قال بعلويته من أراد أن يفسر تمرده في سن الشباب .

ألف طه حسين كتابه «مع المتنبى» - كما هو معروف - بعد محمود شاكر . وهو لا يشك فى نسب المتنبى وحده ، وإنما يشك فى عروبته كذلك . لأن ديوان الشاعر لا يشير إليها : «وقد تعوّد الناس أن يؤمنوا بأن المتنبى رجل خالص النسب . ينتهى من قبل أبيه إلي جعفى ، ومن قبل أمه إلى همدان ، وهما حيان من أحياء الأمة ، فيما يقول المؤرخون والنسابون . وجائز جداً أن يكون المتنبى عربيا ، وجائز أن يكون من عرب الجنوب ، جعفى الأب همدانى الأم . ولكن الشىء الذى ليس فيه شك هو أنّ ديوانه لا يثبت هذا ولا يؤكده . بل لا يسجله ولا يذكره . ومن يدرى لعل ديوانه ينفيه نفيا هو إلى الصراحة أدنى منه إلى الإشارة والتلميح» (١) .

وهو إذ يبدأ فى إثارة الشك فى نسب الشاعر يمضى إلى بيان رأيه بصورة لا تحتمل شكا ولا تأويلا ، فالمتنبى لا يعررف له أبا (٢) ، ثم هو ينسب نفسه إلى أب ليس كآباء الناس ، فهذا الأب متجزىء له بعض يمتاز من كله . يقول : « فالمتنبى - كما ترى - لا ينسب نفسه إلى أب كآباء الناس ، وإنما ينسب نفسه إلى متجزىء له بعض يمتاز من كله ، وبعض هذا يفوق آباء الباحثين عن نسبه المتقصين لأمره» (٣) .

ويستمد طه حسين من قول الشاعر : مادحا أبا العشائر بن حمدان :

إن الكذابَ الذى أكاد بـه   أهون عندى من الذى نقله

بأن هذا «الكذاب» يتمثل فى طعن خصومه في نسبه ، فقد عجز الشاعر عن أن يذكر نسبه عندما سئل عن ذلك . وفضل أن ينتسب إلى المجد والكرم والبأس . ويرى أن الأبيات الأخرى التى يذكرها الشاعر مع البيت السابق ، تؤكد ضعة نسبه ، فهو يغلو في الحديث عن نفسه مفاخرا ومزدريا عائبيه ، كرد فعل لضعف ذلك النسب ، وإن كان هذا لا يمنع من أن المتنبي كان حسن الرأى فى نفسه ، خبيرا بالناس ، شديد الازدراء لهم (٤) .

ودليل طه حسين الآخر على ضعة نسب المتنبى ، أنه لم يمدح أباه فى شعره . وكأنّ هذا كان سنّة متبعة بين الشعراء ، وقد رفض محمود شاكر ما ذكر عن نسب المتنبى عند القدماء ، لأنه صادر إما عن متحمسين للشاعر منحازين له ، أو أعداء له متحاملين عليه (٥) . ويرى طه حسين أن

---

(١) مع المتبنى : الطبعة الحادية عشرة . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧٦ ص ١٢

(٢) المرجع نفسه ص ١٣

(٣) المرجع نفسه ص ١٥

(٤) المرجع نفسه ص ١٦ بتصرف

(٥) انظر محمود شاكر . المتنبى ص ١٧ - ٢٨ وانظر طه حسين مع المتنبى ص ١٣ .

ومن أغرب ما يذكره طه حسين قوله إن المتنبى لم يعرف أمه ، لأنه لم يذكرها فى شعره [1] ، ويمضى الباحث مع هذا الفرض حتى يصل به إلى الغاية فيقول : « فنحن لانعرف اسمها ، ولا نعرف أباها ، ولا نعرف أكانت عربيّة من قبل أبيها أم أعجمية ، وكل ما نعرفه أن أمها قد عطفت على المتنبى ، وأحبته وكلفت به ، وعمرت حتى رأته رجلا ، وهذه السيدة التى قتلها حبّ حفيدها ، فيما يقال لا نعرف لها اسما ولا أبا ، وإنما نعرف أن بعض الرواة كانوا يقولون إنها همدانية صحيحة النسب ، وأنها كانت من صوالح نساء الكوفة . وهذا ما يعرفه عنها التاريخ ، وهو كذلك كل ما يعرفه عنها ديوان المتنبى – استغفر الله – فديوان المتنبى لا يذكر نسبها ولا يشير إليه ، ولعله يشكك فيه بعض التشكيك بهذا البيت الذى أملاه الغرور وصاغه الكبرياء ، ووضعه جموح الشاعر فى غير موضعه من الرثاء ، وهو قوله :

وَلَوْ لَـمْ تَكُـونِى بِنْتَ أَكْرَمِ وَالِـدٍ لَكَانَ أَبَاكِ الضَّخْمَ كَوْنُكِ لِى أُمّاً[2]

وليس فى جهل معاصرى الشاعر باسم الأم أو الجدة اللتين ينتمى إليهما ما يدل على ضعة فى الأصل ، لأن كثيراً من الشعراء لا يعرف عنهم ذلك . كما أن الشاعر ليس مطالبا بتسجيل نسبه فى شعره ، ولما كانت مثل تلك الأمور لاتثبت نسبا رفيعا ولا تسقطه ، ولا دليل فيها على شىء من هذا . ذهب الدكتور شوقى ضيف إلى أن المتنبى عربى صميم ولد لأب جعفى وأم همدانية يمنية كانا يعيشان بالكوفة ، وأن المتنبى إذا كان لم يشر إلى أبيه أو إلى أمه فى أشعاره ، فليس هذا دليلاً على الشك فى نسبه ، فكثير من الشعراء العباسيين يشركون المتنبى فى هذا ، رغم أنهم عرب خُلّص لا يشك فى عروبتهم كالبحترى الذى يخلو ديوانه من الحديث عن أبيه وأمه ، أو رثائهما ، والحزن عليهما بعد ما ماتا ، ومع ذلك فلا يمكن اتهامه فى نسبه ، وإذا صح أن والد المتنبى كان سقاء فإن هذا لا يلغى نسبة اليمنى ، وإنما يجعله قد نشأ نشأة متواضعة . كما ينكر أن يكون فى قول المتنبى :

لاَ بِقَوْمِى شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِـى وَبِنَفْسِـى فَخَـرْتُ لاَ بِجُـدُودِى
وَبِهِمْ فخرُ كلِّ مَنْ نَطَـقَ الضَّـادَ وَعَـوْذُ الجَـانى وَغَـوْثُ الطَّـرِيدِ

ما يدل على وضاعة نسبه ، وإنما يدل على فخر الشاعر بعبقريته [3]

(١) المرجع نفسه ص ١٧

(٢) دكتور شوقى شيف . فصول فى الشعر ونقده . ط ٢ ، دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧٧ ص ٧٣ ، ٧٤ . بإيجاز وتصرف .

(٣) انظر محمود شاكر ، المتنبى حـ٢ ، مرجع سابق ص ٣٥١

بيئة المتنبى وأثرها عليه

اهتم محمود شاكر ببيئة المتنبى وعصره . وتحدث عما كان فى هذا العصر من الدعوات السريّه والثورات فيقول : « وقد كان عصرا مملوءا بكل عجيب من الدعوات الخفية والثورات السرية التى لا يخطئها مطلع على تاريخ تلك الفترة من العصر العبسى . وبَيّنٌ من شعر المتنبى الذى وقع فى ترتيبنا لديوانه فى هذه الفترة ، أنه حين دخل العراق لقى بعض الكيد على إثر ماعرف عنه من الثورة القائمة فى صدره» (١)

ولكنّه يصور البيئة المحيطة بالشاعر دون أن يظهر لـ تجاوب الشاعر مع تلك البيئة . بحيث ندرك أن المتنبى كان ثمرة لها . وإنما المتنبى عنده ثائر علَوي يريد أن يسترد نسبه ويعيد للعرب سلطانهم ، وهو فى هذه البيئة موضوع تحت رقابة رجال السياسة المتصارعين عندئذ : «فاجتمعت على المتنبى عيون الفاطميين وعيون العلويين ، وعيون الدولة القائمة فى الشام . فلما ظهر فى بني عدى أرسلوا فى القبض عليه ، فطاردوه من بلد إلى بلد ، وكان يستخفى منهم ، حتى وقع أخيراً فى يد (ابن على الهاشمى العلوى) فى قرية يقال لها كوتكين ، فقبض عليه وأمر النجار بأن يجعل فى رجليه وعنقه قرمتين من خشب الصفصاف . فقال له المتنبى بيتين ذكرناهما آنفا وبقى المتنبى فى السجن من أواخر سنة ٣٢١ أو أوائل سنة ٣٢٢ إلى سنة ٣٢٣ ، ثم أطلق» (٢) .

ويرى بلاشير أن المتنبى بقى فى السجن عامين ، ثم أطلق على أن يرجع عن غيّه ، وهو يراه مسجونا بسبب ثورته هو ومن معه من البدو (٣) فهو ثائر ثورة سياسية ، كما يرى ذلك محمود شاكر . ولاشك فى أن المتنبى تأثر تأثر شديدا بالبيئة التى كان يعيش فيها ، ولكن هذا التأثر لا يلغى شخصيته ، ولا قدرته على الإبداع . فالشاعر «مخلوق أرضى يعيش فى بيئة ذات صبغة جمالية خاصّة ، ويستجيب لطائفة من المنبهات الفنية ، ويتأثر بمجموعة من التيارات المالية السائدة ، بحيث أنه لو تغيّرت بيئته الاجتماعية لترتب على هذا التغير بالضرورة انقلاب هائل في إنتاجه الفنى . وليس معنى هذا أنه لا قيمة علي الإطلاق لمعادلة الفرد الشخصي فى تحديد طرازه الفنى أو أسلوبه الجمالى ..." (٤)

---

(١) المتنبى . جـ١ . ص ٩٨

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٣ ، ١٠٤

(٣) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٣٦٦

(٤) دكتور زكريا ابراهيم . مشكلة الفن . مكتبة مصر . القاهرة ١٩٧٧ ص ١٥١

وقد توسع طه حسين فى أثر البيئة بما فيها من عناصر الثقافة والسياسة وما أدى ذلك إلى آثار خطيرة أصابت الفرد فى تلك البيئة كعظم الشخصية الفردية ، وضعف قوة الجماعة ، وتغلب الأنانية على نوازع الأفراد ، مما أدى إلى ضعف العواطف التى تقوم عليها الحياة الاجتماعية. ولكن تلك النزعات لم تكن تظهر سافرة فى أغلب الأحيان بل تسير فى طرق ملتوية مستترة (١) .

كل تلك الدراسة القيمة لظروف العصر أو البيئة التي كان يحيا بها المتنبى لكى يكشف الباحث عما أصاب المتنبى ، كما أصاب غيره بالطبع ، من الميل إلى المغامرة والمخاطرة ، والسعى وراد المطامع التى لا حد لها . وما كان يحققه بعض المغامرين من الفوز ، الأمر الذى يغرى غيرهم بمحاكاتهم (٢) .

والباحث يريد أن يفسر - فى رأيى - ما يشغل المتنبى من ميل الى الدم والقتل والثأر ، ويراه نابعا من تلك البيئة التي عاش فيها . يقول : «ولد المتنبى فى بيئة كان الدم يصبغها من حين إلى حين ، كان الدم يصبغها ثم لايكاد يجف حتى يسفك دم آخر . ولم يكن الدم وحده يصبغها ، وإنما كان يصبغها صبغ آخر ليس أقل نكرا من سفك الدم ، هو النهب والسلب ، واستباحة الأعراض ، وانتهاك الحرمات ، والاستخفاف بقوانين الخلق والدين (٣) . ويضيف إلى ذلك ضعف سلطان العرب فى الدولة العباسية فى زمن المتنبى ، مما يفسر الفساد السياسى بكامله (٤) .

قلت إن طه حسين يريد أن يفسر دموية المتنبى بالبيئة الدموية تلك وأيضا يريد أن يفسر حبه للعروبة بزوال سلطان العرب وفساد الحكم (٥) .

ومن أغرب ما يستنتجه طه حسين أن وصف المتنبى لنعله دليل على أنه سافر إلى بغداد من الكوفة ماشيا لا راكبا . يسابق الريح فرارا من السلطان ، قال المتنبى :

إليك أبا العباس من دون مشـى ... عليها امتطينا الحضرمىّ الملسّنا

يقول طه حسين فى تعقيبه على ذلك البيت : «فلم يزد المتنبى على أن قال إنه سعى إلى

(١) المرجع نفسه ص ٢٩ ، ٣٠
(٢) المرجع نفسه ص ٣١ ، ٣٢
(٣) المرجع نفسه ص ٣٢
(٤) المرجع نفسه ص ٣٢
(٥) المرجع نفسه ص ٣٢ ، ٣٣

ليس التَعلّلُ بالآمالِ مِنْ أَرَبِي ... ولا القناعَةُ بالإقلالِ من شيمِي

وما أظنُّ بَنَاتَ الدهرِ تَتْركُنِي ... حتّى تَسُدُّ عَلَيْهَا طُرْقَهَا هِمَمِي

لمْ الليالي التي أَخْنَتْ عَلَى جِدَتِي ... بِرِقَّةِ الحالِ واعذُرْنِي ولَا تَلُمِ

أرى أُناساً ومحصُولِي عَلَى غَنَمٍ ... وذِكْرَ جُودٍ ومَحْصُولِي عَلَى الكَلِمِ (١)

إلى أن يقول :

سَيَصْحَبُ النَّصلُ مثلَ مَضْرِبِهِ ... ويَنجلِي خَبَرِي عَنْ صِمَّةِ الصِّمَمِ

لقد تصبَّرتُ حتى لاتَ مُصْطَبَرٍ ... فالآن أقحم حتى لات مقتحم

لأتركنَّ وجُوُهَ الخيلِ ساهمةً ... والحربُ أقوَمُ مِنْ سَاقٍ على قَدَمِ

والطعن يُحْرِقُها والزجر يُقْلِقُها ... حتى كأنَّ بها ضَرْباً مِنَ اللَّمَمِ (٢)

ثم يقول عن اتباعه في ثورته :

بكل مُنْصَلِتٍ ما زال منتظري ... حتى أُدَلْتُ لهُ مِنْ دَوْلَةِ الخَدَمِ

شيخ يرى الصلواتِ الخمسَ نافلةً ... ويستحلُّ دَمَ الحُجَّاجِ في الحَرَمِ

وكلما نطحتْ تحت الحُجَّاجِ به ... أُسْدُ الكتائبِ رَامَتْهُ ولم يَرَمِ

تُنْسِي البلادَ بُروقَ الجوِّ بَارِقَتِي ... وتَكْتَفِي بالدمِ الجاري عَنِ الدِّيَمِ (٣)

فتصويره لبعض أتباعه بأنه لايقيم الصلوات الخمس ويستحل دم الحجاج في الحرم ، وهو مافعله القرامطة ، من قتل الحجاج والقاء بعضهم في بئر زمزم ونقل الحجر الأسود كل هذا – في رأيي – جعل الكتور طه حسين يعتبره قرمطيا دمويا . وهذه القصيدة من شعره الذى نظمه في مرحلة الصبا فيها الغرارة والاندفاع ، وعدم الرويّة ، لكن لماذا تلك الثورة ؟ ومن اتباعه فعلا ؟ لا أحد يعرف .

وهناك مقطوعة أخري يخاطب فيها أبا عبد الله اللاذقى لما رأى إقدامه في الحرب ، ولا ندرى أى حرب تلك . وفيها طموح شديد وثقة بالغة بالنفس وفيها يقول على سبيل المثال :

---

(١) الديوان حـ ٤ ص ٣٩

(٢) المرجع نفسه ص ٤٠ ، ٤١

(٣) المرجع نفسه ص ٤٢

فقد تغرب المتنبى وتنقل فى البلاد ، يبتغى شيئا لا نعرفه ، ولكنه كما يرى شيء جليل لا يستطيع لجلالته أن يذكره ، ثم يذكر قوما سوف ييتم أبناءهم فى أثناء تحقيق هدفه الجليل هذا ، الذى لا يستعظم تحقيقه بل لا يستعظم غير نفسه ، ووسيلته فى تحقيق ما يبتغى القوة أو السيف :

وَلَكِنَّنِي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ ... وَمُرْتَكِبٌ في كُلِّ حالٍ بِهِ الغَشْمَا
وَجَاعِلُهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ تَحِيَّتِي ... وَإلا فَلَسْتُ السيد البَطَلَ القَرْمَا
إذا فَلَّ عَزْمِي عَنْ مَدىً خوف بُعْدِهِ ... فَأَبْعَدُ شَيْءٍ ممكن لم يَجِدْ عَزْمَا
وإني لِمِن قَوْمٍ كَأَنَّ نُفُوسَنَا ... بِهاَ أنفٌ أَنْ تَسْكُنَ اللَّحْمَ والعَظْمَا (١)

ويظل يذكر هذه النغمة حتى فى عتابه لسيف الدولة وهو العتاب الذي كاد يؤدى إلي قتله حيث يقول :

وَجَاهِلٍ مَدَّهُ فى جَهْلِهِ ضَحِكى ... حَتَّى أَتَتْهُ يَدٌ فَرَّاسَةٌ وفَمُ
إذا نظرْتَ نُيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً ... فَلاَ تَظُنَّنَّ أَنَّ اللَّيْثَ يَبْتَسِمُ
وَمُهْجَةٍ مُهْجَتِى مِنْ هَمِّ صَاحِبِهَا ... أدركْتُهَا بِجَوَادٍ ظَهْرُهُ حَرَمُ
رِجَلاه فى الركضِ رِجْلٌ واليَدَانِ يَدٌ ... وَفِعْلُهُ مَا تُرِيدُ الكَفُّ والقَدَمُ
وَمُرْهَفٍ سِرْتُ بَيْنَ الجَحْفَلَيْنِ بِهِ ... حَتَّى ضَرَبْتُ وَمَوْجُ الموتِ يلْتَطِمُ
فالخيلُ والليلُ والبيداء تَعْرِفُنِي ... والضربُ والطَعْنُ والقِرْطَاسُ والقلم
صَحِبْتُ فِي الفَلَوَاتِ الوَحْشَ مُنفَرداً ... حَتَّى تَعَجَّبَ مِنِّيَ القُورُ والأكَمُ(٢)

فهو يذكر شجاعته وقتاله وفروسيته في هذه القصيدة حتى بعد أن مضى وقت طويل على سجنه بالشام ، بل هو يذكر هذه الشجاعة في قصيدته التى قالها بعد أن خرج من مصر :

ومن يك قَلْبٌ كقلبى له ... يشق إلى العز قلب التوى
وكل طريق أتاه الفتى ... على قَدْر الرجل فيه الخطا(٣)

---

(١) المرجع نفسه ص ١٠٨ ، ١٠٩

(٢) الديوان حـ ٣ ص ٣٦٨ ، ٣٦٩

(٣) الديوان حـ ١ ص ٤٢

المنبى للبديعى خبراً يصف المتنبى بالجبن والفزع والثبات والشجاعة معا فقد ثبت مع سيف الدولة الذى لم يبق معه إلا خمسة أشخاص منهم المتنبى نفسه ويقال إنه توهم شجرة تعلقت بعمامته رجلا ، وأخذ يصرخ حتى طمأنه سيف الدولة ، وهى رواية لا أطمئن إليها يقول البديعى : «وصحب سيف الدولة فى عدة غزوات إلي بلاد الروم ، ومنها غزوة «الفنا» التى لم ينج منها إلا سيف الدولة بنفسه ، وستة أنفار أحدهم المتنبى ، وأخذت الطرق عليهم ، فجرد سيف الدولة سيفه ، وحمل على العسكر ، وخرق الصفوف ، وبدد الألوف ، وحكى الرقى عن سيف الدولة قال : كان المتنبى يسوق فرسه ، فاعتلقت بعمامته طاقة من الشجر المعروف بأم غيلان فكان كلما جرى الفرس انتشرت العمامة ، وتخيل المتنبى أن الروم قد ظفرت به ، فكان يصيح الأمان يا علج ، قال : سيف الدولة : فهتفت به وقلت : أيما علج ؟ هذه شجرة علقت بعمامتك ، فودّ أن الأرض غيبته ، فقال له ابن خالويه : أيها الأمير أليس أن ثبت معك حتى بقيت فى ستة أنفار ؟ تكفيه هذه الفضيلة» (١) .

وهذه الراوية كما نرى تكذب نفسها بنفسها ، فالرجل الذى يثبت حتى يفنى الجيش الذى يحارب فيه ، لا يمكن أن يكون جبانا .

(١) البديعى . الصبح المنبى . مرجع سابق ص ٧٨ ، ٧٩

عقيدة المتنبى (قرمطيته)

يرى الدكتور طه حسين أن المتنبى قرمطىّ ، وقبل إن نناقش هذه القضيّة نتحدث عن مذهب القرامطة ، لعل هذا يلقى ضوءاً على ما يقوله ، فإن مذهب القرامطة ، وثوراتهم الدامية وكثرة أتباعهم ومحاربتهم الخلافة العباسية ، وإتيانهم من الأفعال ما يجعلهم كفارا مارقين عن الدين والعقيدة ، يثير كثيراً من الأسئلة المحيرّة ، فالمؤرخون - يربطون بين نشاطهم ، وبين مذاهب الشيعة والإسماعيلية منهم بوجه خاص ، وهو أمر ينطوى على كثير من الشبهات التى تشير إلى أن الشيعة كانوا يرون غيرهم من المسلمين وأعنى بهم أهل السنّة كفاراً ، لأنهم يتبعون مذهبا يفرض عليهم طاعة العباسيين الذين سلبوا آل علىّ الخلافة ، وهي حق لآل على فى عرفهم ، عندما انتزعها العباسيون بعد زوال ملك الأمويين .

وعرف القرامطة بأنهم كانوا يقتلون بلا رحمة ، ويسبون النساء ويستولون علي الأموال عن طريق السلب والنهب والإغارة ، وسيلتهم فى ذلك ، ولم يكن لهم عهد ولا ميثاق . ويبدو أن القرامطة حققوا كثيراً من الانتصارات على السلطان المركزى فى بغداد معتمدين على أئمة يدّعون التقوي والصلاح بين العامّة ، فإذا نالوا ثقتهم انطلقوا من هذا إلى الدعوة إلى المهدى المنتظر ، وحاولوا بث بعض الأفكار التى تؤول العقيدة الاسلاميّة إلى ظاهر وباطن ومن خلال هذا التأويل كانوا يستدرجون البسطاء إلى مذهبهم . والمهدى المنتظر ، الذى كان القرامطة يدعون إليه وجدله أتباعا فى البدو وفى زراع السواد بالعراق ، وبين قبائل اليمن بالذات . وقد صاروا قوّة يحسب لها ألف حساب ، وقد هددوا عاصمة الخلافة العباسية نفسها ، فضلا عن تهديدهم الحجاج [1] حتى منعوا الناس من الحج عدة مرات ، وقتلوا من الحجاج مقتلة عظيمة .

وهذا كله يثير مسألة العقائد الدينية للقرامطة ، فلابد أنه كانت لهم عقيدة ما ، وأنهم كانوا يدعون إليها بطريقة تستميل البسطاء من الناس أو محدودى الثقافة والإدراك [2] ، الذين لايلبثون أن يصبحوا مدافعين عن تلك الحركة دفاعا غريبا ، ويحققون انتصارات على جنود الدولة وقوادها

---

(١) انظر محمد الخضرى بك . الدولة العباسية . تحقيق الشيخ محمد العثمانى . دار القلم . بيروت . لبنان ١٩٨٦ ص ٢٧٠ حيث يقول : « ومن أخبث ما فعلوه سنة ٢٩٤ هـ أنهم أغاروا علي قوافل الحج الآيبة من مكة إلي المشرق وخراسان ، والعراق فلم يتركوا من هؤلاء الحجاج من يخبر بخبر ، وأخذوا من الأموال شيئا عظيما .

(٢) أخبار القرامطة . جمع وتحقيق ودراسة . الدكتور سهيل زكار طبعة ٢ . دار إحسان للطباعة والنشر ص ٢٠٣ - ٢٥١

إلى هجر ، وترك الحجاج فى مواضعهم ، فمات أكثرهم جوعا وعطشا من حر الشمس ، وكان عمر أبى طاهر حينئذ سبعة عشر عاما" (١) .

وقد هاجم أبو طاهر القرمطى مكة فى يوم التروية ونهب أموال الحجاج ، وقتلهم فى المسجد الحرام ، وقلع الحجر الأسود ، وأرسله إلي هجر وقلع باب البيت الحرام وألقى القتلى من الحجاج فى بئر زمزم ، ولم يصل على أحد منهم ، ولم يغسله ، أو يكفنه ، ثم أخذ كسوة البيت فقسمها بين أصحابه ، ونهب دور أهل مكة (٢) .

والغريب أن القرامطة كانوا ينتصرون مع قلّة عددهم في أحيان كثيرة ، علي جيوش الخلافة العباسيّة ، وهو نصر يبدو طبيعيا إذا نظرنا إلى ما كان يجرى من صراع علي السلطة بين من يحيطون بالخلافة العباسيّة من وزراء وقواد (٣) .

ويبدى بعض المؤرخين أسبابا سياسيّة لتعاظم خطر القرامطة ، فيقول «... وكان الذى أعانهم علي ذلك تشاغل الخليفة بفتنة الخوارج ، وصاحب الزنج بالبصرة ، وقصر يد السلطان ، وخراب العراق ، وتركه لتدبيره ، وركوب الأعراب واللصوص بعد السبعين ومائتين بالقفر ، وتلاف الرجال وفساد البلدان ، فتمكن هؤلاء وبسطوا أيديهم فى البلاد وعلت كلمتهم» (٤) .

وهو ما يشير إلى فساد الأحوال الاقتصادية والسياسيّة ، واختلال الأمن ، وعدم العناية بالعمران ، وما ينذر بسقوط الدول وانحلالها . والغريب أن تمتد حركات القرامطة إلي ما بعد سنة ٣٦٠ هـ ، وأن تعم بلاداً أخرى غير العراق .

ويرى الدكتور طه حسين فى ثورة الزنج بالبصرة ثورة لتحقيق العدل الاجتماعى ، معتمدة فى ذلك علي مبادىء الخوارج مستدلا بأن صاحب الزنج قد كتب علي رايته بالخضرة والحمرة الآية الكريمة : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنَّة . يقاتلون فى سبيل الله فيقتُلُون ويقتلون) (٥) ويصور ما يتمتع به صاحب الزنج من شخصية فذة قويّة - فى رأيه - مبينا

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٧ وانظر المرجع نفسه ص ٣٣٤ حيث يذكر أن أبا طاهر قتل ١٣ ألفا من الحجاج ، وقطع الركن يوم النحر . وقال شعرا يتطاول فيه علي الله تعالى .

(٢) الدولة العباسية . مرجع سابق ص ٣٩٤

(٣) أخبار القرامطة . مرجع سابق ص ٣٩ - ٤٤

(٤) المرجع نفسه ص ٣٣٣

(٥) طه حسين . ألوان . مرجع سابق ص ١٦٥ . وأنظر أيضا دكتور درويش الجندى . الرمزية فى الأدب العربى =

قبل مقتله مرتين [1] . وتنشأ الخلافة الفاطمية سنة ٢٩٦ هـ ، ويستولى البويهيون على بغداد ٣٣٤ هـ ، ويستولى الإخشيديون على حكم مصر ٣٢٣ هـ ، كما يؤسس الحمدانيون دولتهم في شمال الشام بعد صراع مع الإخشيديين ، انتهى بأن صالحهم الإخشيد على تركهم في حلب وشمال الشام . ومنعهم من الاستيلاء على دمشق .

ومن الأمور الظاهرة كذلك أن من كانوا حول الخليفة ، ويعرفون من أمور الخلافة ما يعرفون من ضعف ، كانوا ينتهزون الفرصة لتحقيق أطماعهم . فابن رائق مثلا . كان واليا علي البصرة فامتنع عن تقديم أية أموال للسلطان [2] وكان ابن بوية قد تغلب على فارس . وقطع البريدى أحد ذوى الطموح عن الخليفة ما كان يقدمه من مال [3] وهنا استعان الخليفة الراضى (٣٢٢ - ٣٢٩ هـ) بمحمد بن رائق ، واستقدمه من واسط ، وجعل في يده مقاليد أمور الخلافة ، ولقبه بأمير الأمراء [4] ، وولاه الخراج ، وأمر بأن يخطب له على جميع المنابر ، وأصبح ابن رائق هو الخليفة الفعلي ، وبيده السلطان كله [5] . ولكن الصراع بين ابن رائق والطامعين فى منصبه يستمر ، وتظهر شخصيات أخرى على مسرح الأحداث مثل «بجكم [6]» ويقتل ابن رائق غيلة على يد ناصر الدولة بن حمدان ، ويحل محله فى منصب أمير الأمراء . فى عهد المتقى (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ) [7] . بل إننا لا نغالى إذا قلنا إن استقلال الدويلات ، كان بسبب ضعف الخليفة من جهة وطموح الطامحين إلي تحويل السلطان لأنفسهم .

وهذا يعنى أن المتنبى عندما قام بثورته ، إن صح أنه قد ثار فعلا ، وكان ذلك فى سنة ٣٢٣ هـ تقريبا ، كانت سنه لاتزيد على العشرين سنة أولا تتجاوزها بكثير ، وهى سن لا تسمح له بقيادة الثورات أو استهواء الغير ، ويغلب على الظن أنّه وشى به يقول أنه وهو فى سجنه :

وقيل عدوتُ على العالميـ	ـن بين ولادى وبين القعود
فمالك تقبل زور الكلام	وقدر الشهادة قدر الشهود

(١) محمد عبد الرحمن شعيب . المتنبى بين ناقديه ص ٢٠ ، انظر الشيخ محمد الخضرى . الدولة العباسية ص ٢٩٧ ، ٢٩٨ حيث يصور الطريقة التى قتل بها ، ويبين أنها كانت نتيجة للصراع بين مؤنس المظفر القائد العام للجيوش وبين محمد بن ياقوت .

(٢) ، (٣) الدولة العباسية ص ٤٠٥ .

(٤) ، (٥) المرجع السابق ص ٤٠٦

(٦) المرجع نفسه ص ٤٠٨

(٧) المرجع نفسه ص ٤١٤

فما الأشعار التى يعتمد عليها طه حسين فى إثبات تلك القرمطية ، إنها الأبيات الثلاثة التالية :

إلى أىّ حين أنت فى زىّ مُحرِم	وحتى متى فى شقوة وإلى كم ؟
وإلا تمت تحت السيوف مكرماً	تَمُتْ وتقاسى الذُّلَّ غير مكرَّمْ
فثب واثقا بالله وثبة ماجد	يرى الموت فى الهيجاجنى النحل فى الفم (١)

ويعلق على الأبيات تعليقا طويلا نقتطع منه قوله : « ليس عندى من شك فى أن هذه الأبيات تصور ما عاد به الغلام من البادية بعد أن عاش فى بيئتها الخشنة المقتنعة بالمذهب الجديد ، المنتظرة من وراء هذا المذهب وانتشاره الخير كلّ الخير ، وتصور كذلك ما عاد به الغلام من البادية من هذه الرصانة التى ترفع اللفظ عن الإبتذال ، وتكسبه عذوبة نحس فيها ريح الصحراء» (٢) . ومع أن طه حسين يجزم بقرمطية المتنبى ، وكأنها حقيقة ، لاخلاف عليها ، فإننا نراه فى الصفحة السابقة ومطلع هذه الصفحة ينكر أن يكون بوسعه أن يقطع بشىء مما يقول ، فلا هو متأكد من سبب رحيله إلى البادية ، وهل كان لطلب العلم باللغة والتمساً للصحّة ، أم ذهب إليها التماسا القرمطية ، ويعود فيؤكد أنّه لا يستطيع القطع بشىء مما افترضه (٣) ولكنه يعود من جديد إلى تأكيد ما شك فيه ، زاعما أن المتنبى ، قد درس مذاهب القرامطة النظرية والعملية جميعها أو عرفها (٤) . ثم يعود مرّة أخرى للحديث عن قرمطية الشاعر التى أصبحت من الحقائق المؤكدة لديه ، بعد أن التمس لها بعض الأدلة أو الشواهد غير القاطعة بتلك القرمطية من شعره (٥)

فالمتنبى فى رأيه – قد ذهب إلي البادية ثم اعتنق مذاهب القرامطة ، ولم يعد من البادية وحده ، إنما عاد وبصحبته داع من دعاة القرامطة ، ويرجح أن هذا الداعى كان أبا الفضل الكوفى الذى مدحه المتنبى . بل هو لايستصحب داعيا واحدا وإنما دعاة ليستقروا في الكوفة للدعوة لمذهبهم ثم يعلق على هذا الكلام بقوله : «ومهما يكن من شىء ، وسواء واتتنا النصوص التى بقيت

---

(١) المرجع نفسه ص ٤٢

(٢) المرجع نفسه ص ٤٤ وهو ما يتفق إلي حد كبير ورأى بلاشير في أن المتنبي عاد من البادية معجبا بآراء القرامطة متخذا من آرائهم مذهبا له (انظر مجلة المورد العراقية عدد ٣ ، مجلد ٦ ، ١٩٧٧ ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٣) المرجع نفسه ص ٤٢ ، ٤٣

(٤) ، (٣) المرجع نفسه ص ٤٣

(٥) المرجع نفسه ص ٤٥

داعية من دعاة القرامطة ، فى هذا القسم الشمالىّ من سوريا ، الذى لم يكن قد أدركه الاضطراب القرمطى ، كما أدرك غيره من أقسام الشام» [1] .

ويمضى طه حسين إلى أبعد من ذلك فيرى أن المتنبى وأباه قد تورطا مع القرامطة أثناء غزوهم للكوفة ، فلما رحلوا عنها - أى القرامطة - كان لابد أن يرحل المتنبى وأبوه منها كذلك فرارا من السلطان ، وهو يرجح هذا الرأى لأنّه يرى أن المتنبى لم يبق ببغداد طلبا للعلم ، ولم يتصل بمن بها من العلماء والأدباء وأصحاب المكانة السياسيّة . ولكنه ذهب إلى مركز قوى من مراكز القرامطة ببغداد ، فأخذ منه التعليمات ورحل إلى الشام للدعوة للقرامطة هناك ، لأنه لو أراد الهرب لكان له فى الصحراء متسع [2] . ويرجح تلك الآراء لأنها تلائم رأيه فى نشأة المتنبى كلها ، وأيضا لأن إقامة المتنبى فى بغداد لم تكن إقامة دائمة أو متصلة [3] ، وهو لذلك يعرض القضيةّ على النحو التالى : « والأرجح - كما قدمت - أن المتنبى عاد من البادية مع بعض دعاة القرامطة ، واشتغل في الكوفة بنشر الدعوة القرمطية ، وأن المتنبى سافر من الكوفة بعد جلاء القرامطة ، فقصد بغداد لأمر يتصل بالدعوة ، ولست استبعد ، بل أرجح جداً أن يكون فى بغداد مركز قوى من مراكز الدعوة القرمطية ، ذهب إليه المتنبى فأدى شيئا ، وتلقى منه شيئا ، وترك بغداد قاصدا إلى الجزيرة ثم الشام» [4] .

وهكذا يبنى الباحث قرمطية المتنبى على هذه الترجيحات والظنون ، فإذا رحل المتنبى من الكوفة إلى بغداد كان ذلك فراراً من السلطان لتورطه هو وأبيه في معاونة القرامطة وربما فى الإغارة والتخريب فى الكوفة ، وإذا دخل بغداد فلم يبق بها طويلا ، كان ذلك لأن مركزا من مراكز القرامطة في بغداد قد كلفه الدعوة للقرامطة فى الشام . وهذه الأسباب يمكن رفض أولها وهو مغادرته للكوفة ، بأن الكوفة وبخاصة فى ظل تخريب القرامطة وغاراتهم لم تكن بالمكان الصالح لبقاء المتنبى الشاعر ، فخرج منها باحثا عن رزقه وهو لم يكن أحسن حالا في بغداد ، وطه حسين نفسه يقول عن بغداد : «وأنا اعلم أن اضطراب الخلافة فى بغداد ، وتسلط الترك علي الدولة قد غض من أمر الشعر ، وقصر من همم الشعراء ، وأن بغداد لم تكن في القرن الرابع غنيّة بالشعراء المجيدين ، كما كانت فى القرن الثانى والثالث» [5] .

---

(1) المرجع نفسه ص ٤٦ ، ٤٧

(2) المرجع نفسه ص ٤٦

(3) المرجع نفسه ص ٤٧

(4) المرجع نفسه ص ١١٤

(5) المرجع نفسه ص ١٨١

وربما لكساد سوق الشعر بها . أما طلب العلم في بغداد ، فما أشار أحد - فيما نعلم - إلى أنه تلقى العلم بها بعد أن خرج من الكوفة ، ولا كيف كان يتلقاه قبل أستاذنا .

ويستدل طه حين علي قرمطية المتنبى بضعف الوازع الدينى ، أو الانحراف الدينى عنده ، كقوله بالحلول أو بغيره من مذاهب الصوفية والمتفلسفة ، وذلك لقوله الأبيات التالية التي مدح بها أحد الصوفية وعلى طريقتهم :

يا أيهـا الملـك المُصـفّى جوهـرا ... من ذات ذى الملكوت أسمى من سما

نـور تظـاهـر فيـك لاهـوتيـة ... فتكـاد تعـلم علـم مالـن يعلـمـا

ويهم فيـك إذا نطقـت فصاحـة ... من كـل عضـو منـك أن يتكلـمـا

أنـا مُبْصـرٌ وَأظُـنُّ أنّـى نائـمٌ ... مـَنْ كَانَ يَحـْلُمُ بالإلـه فَأحْلُمـا

كَبـُرَ العـيـانُ علىَّ حـتى إنـّهُ ... صَارَ اليقـينُ من العيـانِ تَوَهُّمـاً (١)

وإذا كان طه حسين يسخر من محمود شاكر دون ذكر اسمه لأن الأخير رأى أن المتنبى درس في كتاب يدرس فيه أولاد العلويين خاصّة ، ولا يسمح لابن رجل مغمور كعيدان السقاء والد المتنبى أن يدرس فيه معهم ، واستنتج محمود شاكر من دراسة المتنبى بهذا الكتاب أنه - أى المتنبى - ابن لأحد أشراف العلويين . وهو في سخريته تلك لا يشير إلي اسم الرجل بل يشير إلى من يسميهم المتأخرين والمحدثين منهم خاصّة يبالغون فيا يتصل بنشأة المتنبى بين الشيعة ، وتعلمه مع أبناء العلويين (٢) ، ويأخذ عليهم أنهم يظنون أن ذلك الكتاب كان مدرسة ارستقراطية ممتازة ، وأنهم يرسلون لأنفسهم العنان فى تفسير ذهاب المتنبى الصبى إلى تلك المدرسة العلويّة الارستقراطية . ويفسرون ذلك تفسيرات مختلفة (٣) .

وعلى أية حال فلم يكن طه حسين الوحيد الذى أشار إلى قرمطية المتنبى ، فقد ذهب بلاشير إلى ما كان بين الشاعر وبين أبى الفضل الكوفى الذى أثر فى عقيدة المتنبى وفلسفته تأثيرا كبيراً ، بل ويشير إلى نبذ المتنبى للعقائد الدينية التى كان يراها أداة للظلم حسب زعم بلاشير (٤) . ونلاحظ أن بلاشير يربط بين بيئة المتنبى التى انتشر فيها القرامطة ، ودعوتهم كما

---

(١) المرجع نفسه ص ٤٤ ، ٤٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) المرجع نفسه ص ٣٤ .

(٤) بلاشير "أبو الطيب المتنبى" دائرة المعارف الإسلامية جـ١ ترجمة محمد ثابت الفندى وآخرين ص ٣٦٤ .

والباحث برغم أنه لا يقطع بقرمطية المتنبى يربط بين ثورته في الشام وبين ثورة القرامطة أو أساليبهم في الثورة ، ويشير إلي أن تلك الثورة التى قام بها المتنبى فى اللاذقية ، وذلك – في رأيى – يعود إلي ما ذكره البديعى عن معاذ اللاذقى الذى روى قصة نبوة المتنبى ، والذى آمن بدعوة المتنبى هو وقبيلته ، تلك الدعوة التي عمت بلاد الشام كما يزعم . وهى قصة مشكوك في صحتها [1] . وقد مضى «جومس» غير متيقن مما يقول حيث يمزج الشك باليقين الذى يظهر من قوله «فمن المؤكد تقريبا» ، إلى القول : «ومهما يكن التشويه الذى تعرضت له الوقائع فيما بعد ، فمن المؤكد تقريبا ، أنه تظاهر بتحقيق معجزات وكرامات ، حتى إنهم زعموا له تحرير قرآن جديد ، في نثر ، وباختصار اعتبر نفسه نبيا جديدا ، وقد وجد التشجيع من تابعيه الأولين ، واندفع إلي الميدان ملتهب الحماسة إلى العمل» [2] .

ومع أن جومس يعترف بأن شعر المتنبى لا يحمل إشارات صريحة بإلحاد أو كفر ، أو عقيدة أو تدينا ، فإنه يرى أنه كان للقرامطة تأثير مباشر فى أفكار المتنبى ومغامراته . وسوف نرى أن باحثين آخرين سيرفضون هذه القرمطية .

فالدكتور شوقى ضيف يرى أن المتنبى لم يكن قرمطيا ، وأنّه إنما قام بثورة سياسية ، فيقول [3] : «ومضى إلى اللاذقية ، وهناك اعتزم أن يعلن ثورته بين أمشاج من البدو ، كانوا ينزلون شرقيها ، وما زال يؤلبهم ، حتى اجتمع له كثيرون منهم لسنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة ، أو لسنة أربع وعشرين ، وتكاثفوا وضخم عددهم ، وكان طبيعيا أن يفزع أصحاب السلطان فى تلك الجهات حين ترامى إليهم نبأ هذه الثورة» [4] .

وكان الناقد القديم على بن عبد العزيز الجرجانى (٢٩٠ – ٣٦٦ هـ) قد عجب ممن يغض من أبيات لأبى الطيب يظن أنها تدل على ضعف العقيدة أو فساد المذهب فى الديانة [5] ثم يعقب على ذلك برأيه الشهير : «فلو كانت الديانة عاراً على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ،

---

(١) انظر محمود محمد شاكر . المتنبى حـ ١ . حيث يرفض ما ذكره معاذ اللاذقى ص ٨٧ – ٩١ .

(٢) مع شعراء الأندلس والمتنبى . مرجع سابق ص ٢٢ .

(٣) شوقى ضيف . فصول في الشعر ونقده ص ٧٩ ، وهو رجوع عن رأى سابق له كان يقول بقرمطية المتنبى . انظر كتابه الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ط ٨ . دار المعارف القاهرة ، ١٩٧٤ص ٣٠٤ .

(٤) فصول في الشعر ونقده ص ٨٤ .

(٥) الوساطة تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم وآخرون . دار القلم بيروت لبنان د. ت ص ٦٣ .

وأما الأساليب القرمطية التى يشير إليها ففى ظنى أنها تتمثل فيما يريد أن ينشره المتنبى من ذعر لا بين العامّة ، وإنما بين الملوك وذلك فى قوله :

أيملك الملكَ والأسياف ظامئة — والطير جائعة لحم على وضم
من لو رآنى ماءً مات من ظمأ — ولو مثلت له فى النوم لم ينم
ميعاد كل رقيق الشفرتين غدا — ومن عصى من ملوك العرب والعجم (١)

ويظهر غموض ما يطلبه المتنبى وما يريد الثورة من أجله من قوله :

ذكرت جسيم ما طلبى وأنا — نخاطر فيه بالمهج الجسام

فالأمر الجسيم الذى يطلبه غير معروف ، ويلفه الغموض ، كما أن تحرّقه للحرب والقتال ، وإراقة الدماء ، غير مفهوم ، والمثال القريب الذى يمكن أن يقارن به هو ثورة القرامطة الدموية التخريبيّة .

ويمكن القول إن آراء طه حسين فيما يتعلق بقرمطية المتنبى بل وبغيرها من أمور حياته الأخرى ، لا تعتمد علي سند من التاريخ ، وإنما تعتمد على الخيال ، أو الفروض التى لا سبيل إلي التأكد من صحتها . ويذهب الدكتور إبراهيم عبد الرحمن إلى أن حياة المتنبى كما صورها طه حسين ليس لها قيمة تاريخيّة ، فهو يقدمها فى صورة روائية ، ولذا تصبح قيمتها فنيّة خالصة ، ويغلب عليها الخيال (٢) .

ونميل إلى أن المتنبى لم يكن قرمطيا ، وإنما اتهم بذلك لأسباب لعلها ولعله بذكر الحرب والدم ، وطموحه ، وحديثه عن الثورة . وعن مجد غير معروف يريد أن يحققه وقد أكثر الباحثون القول فى هذا الموضوع – وليس غريبا أن يطمح المتنبى وقد وجدنا الدولة الإسلامية مفتتة في زمنه ، وأن بعض الطامحين كانوا يكونون إمارات أو دويلات ، بعد أن يكونوا لأنفسهم أتباعا ، فالمتنبى يرى مثلا سيف الدولة يكون دويله بمجهوده وبمعاونة قبيلته ، وبعض القبائل العربية ، بما يكاد يكُون مجهودا فرديا ينسب إليه وحده ، ولذلك سرعان ما سقطت دويلته بعد وفاته . ولكن مشكلة المتنبى كانت تكمن فى أنه كان محتاجا إلى أتباع وليست له قبيلة كتغلب تحميه وتعينه بل لابد أن يجمع خلفه قوما آخرين يؤيدون ثورته إن أراد الثورة لتحقيق مطامحه . ولعله قد ثار ثم فشل فسجن .

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٣ ، ٤٤
(٢) المصدر نفسه ص ٤٥

فيها بسيف الدولة ؟ والدليل على ما نراه من الطبيعة الخاصة وغير الإسلامية لقصائد المتنبى فى سيف الدولة أنّ قصائده على كثرتها لا نجد بها إلا ستة عشر بيتا تقريبا تتوزع قصائده فيه وتأتى عرضا لينصرف الشاعر بعدها لمديحه . والخلاصة أن هذه القصائد ليست ذات صبغة إسلاميّة ، وإنما هى قصائد تمدح حاكما عربيا بالشجاعة . ومن أمثلة تلك الأبيات - ذات الصبغة الدينية - قوله :

فمن كان يرضى اللؤم والكفر ملكه ... فهذا الذى يرضى المكارم والربا (١)

أو قـــولـه :

هنيئا لأهـــل الثغـــر رأيـك فيهـــم ... وأنك حزب اللّـه صرْتَ لهم حزْباً (٢)

ثم تخلص القصيدة لمدح سيف الدولة ، والمثال على ذلك من تلك القصيدة قوله مثلا :

ســــراياك تتـرى والدمستـق هــارب ... وأصحـــابه قتلـى وأمـوالـه نُهبـــى
أتى مرعشـا يستقرب البعـد مقـبلا ... وأدبر إذا أقبلـت يستبـعد القـرْبَا
كذا يتركُ الأعداء من يكره القنـا ... ويقفـل مـن كـانت غنيـمتـه رعـبا
وهـــل رد عنــه باللقـــان وقوفــهُ ... صدورَ العوالـى والمطـهَّمـــة القُبـــا
مضى بعد ما التف الرماحان ساعة ... كما يتلقّى الهدبُ فى الرقدة الهُدْبا
ولكنــه ولّـــى وللطعـــن ســـــورة ... إذا ذكـرتهـــا نَفْسُـــهُ لمس الجـنبا
وخلّى العـذارى والبطـاريق والقـرى ... وشُعْثَ النصارى والقرابين والصلـبا
أرى كلنـــا يبــغى الحـــياة لنفسه ... حريصا عليها مستهاما بها صَبّاً (٣)

وليس هدفنا عيب شعر المتنبى ، وإنما هدفـهنا الكشف عن طابعه ، الذى يغلب عليه المدح بمفهومه الضيق وهو الإشادة بالممدوح فى شخصه ، مع العلم بأن المادحين كانوا دائما يخلعون على الممدوح صفات دينيّة ودنيويّة محببة ، إذا كان حاكما أو خليفة أو واليا . ولكننا نجد هذا الجانب الدينى ضئيل جدا فى مدحه لسيف الدولة ، وبخاصّة فى قصائده فى حرب الروم ، التى كان يمكن أن تتحول إلى قصائد جهاد فى سبيل اللّه ، مصورة النصر بأنه من اللّه تعالى أولا

= ضعف عقيدة المتنبى جعلت مدائحه لسيف الدولة لا يرد بها إلا بعض إشـارات الى الدين تقليديه ، يضعها السياق ، ولكنها لا تعبر عن عاطفة دينية ولا عقـيدة للشـاعر .

(١) ديوان المتنبى حـ ١ ، شرح العكبرى ص ٦٩ .

(٢) المصدر نفسه ص ٦٢ .

(٣) المصدر نفسه ص ٦٣ - ٦٥

من بعدما أشبوها واثقين بها — والله مفتاح باب المعقل الأشب

ثم يقول :

عَداكَ حرُّ الثُّغُورِ المُسْتضامة عن — برْد الثغور وعن سلْسالِها الحَصِب
حتى تركتَ عمودَ الشرك مُنْعفراً — ولم تعرِّج على الأوتادِ والطُّنُبِ
خليفة اللّه جازى اللّه سعْيكَ عَنْ — جُرْثومة الدِّين والإسلام والحسَبِ
إنْ كانَ بيْنَ صرُوفِ الدهْرِ منْ رَحمٍ — موْصولةٍ أوْ ذمامٍ غيْرِ منقضبِ
فبيْنَ أيامِكَ اللاتي نُصِرتَ بها — وبين أيام بدرٍ أقربُ النَسَبِ
أبقتْ بَنِي الأصْفرِ المراضِ كاسمِهِمُ — صُفْرَ الوجوه وجَلَتْ أوْجهَ العَرَبِ (٢)

فالقارىء يلاحظ أن قصيدة أبى تمام صريحة فى أن الحرب بين المسلمين وبين أعدائهم هى حرب ، وهى حرب بين الإسلام ، والكفر ، أو بين العرب المسلمين ، وبين بنى الأصفر المشركين . وهذه الحرب فتح ، بل هى فتح الفتوح ، ثم هو يربط بين وقعة عمورية وغزوة « بدر » بل إن الخليفة منصور بنصر الله ، وطاعته

ويذهب الأستاذ عبده بدوى إلى أن قصيدة « فتح عمورية » لأبى تمام ، وإن كانت فى مدح الخليفة المعتصم ، إلا أننا لا نتعرف على ملامح شخصية ذلك الخليفة فالشاعر لا يقدم الخليفة الجهير الذى نعرفه فى التاريخ ، وإنما يقدم لنا المثل الأعلى للنصر (٣) ، ونضيف إلى ما قاله أن المعتصم ليس محور القصيدة عند أبى تمام كما كان سيف الدولة محور القصيدة عند المتنبى فى سيفياته فهو لا يذكر الخليفة إلا بدءاً فى البيت الخامس والعشرين وهو قوله :

لقد تركت أمير المؤمنين بها — للنار يوما ذليل الصخر والخشب

وبضعة أبيات أخرى لاتتجاوز سبعة عشر بيتا من القصيدة التى يبلغ عدد أبياتها واحدا وسبعين بيتا . ثم لا يذكره بعد ذلك فى نهاية القصيدة والذى يبلغ عدد أبياته سبعة وعشرين بيتاً إلا فى خمسة أبيات . والمعانى التى يتناولها أبو تمام فى هذه القصيدة ، قلّما نجدها ، بل لا نجدها فى شعر المتنبى فى مدح سيف الدولة وهو يحارب الروم . ولكننا نجد بعض أبيات فى قصيدة يعتذر فيها له عن أنه لن يعود إليه خوفا من الوشاة ، وذلك بعد مغادرة المتنبى مصر والقصيدة مطلعها :

(١) المصدر نفسه ص ٥٨ - ٦٠
(٢) المصدر نفسه ص ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٢ ، ٧٣
(٣) دكتور عبده بدوى . أبو تمام وقضية التجديد فى الشعر . الهيئة المصرية العامة للتأليف . القاهرة ١٩٨٥ ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

وقد ترد أربعة أبيات فى قصيدة عدد أبياتها ٤٦ بيتاً ، وهى القصيدة التى مطلعها :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِى العَزَائِمُ ... وتأتي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المَكَارِمُ (١)

كقـولـه :

طَرِيـدَةُ دَهْـرٍ سَاقَـهَا فَرَدَدْتَـهَا ... على الدِّينِ بالخطِّيِّ والدهرِ راغمُ (٢)

ولَسـتَ مـلِيكاً هَازِمـاً لِنظيـره ... ولكـنك التَّوحيـد للشـرْك هَـازِمُ (٣)

هَنِيئاً لضرب الهامِ والمجـد والـعُلاَ ... ورَاجِيكَ والإسـلام إنـكَ سَالـم (٤)

ولِـم لا يقى الرَّحـمَنُ حَدَّيْكَ مَا وَقَى ... وتفليـقُهُ هـامَ العِـدَابِكَ دَائـمُ (٥)

فهو يورد هذه الأبيات مفرقة ، ولكن جوّ القصيدة العام ليس جوا دينا غالبا بل هى أبيات ، قد يكون فى القصيدة بيتا أو بيتين فى الغالب ، فهو مثلا فى قصيدة عدد أبياتها خمسة وخمسين بيتا لا يذكر شيئا لا عن الدين ولا عن الإسلام إلا قوله :

مُقَلَّداً فوق شـكر اللّـه ذا شُطَبٍ ... لاتستدامُ بأمْضى مِنْهُمَا النِّعَمُ (٦)

ولا يذكر فى قصيدة أخرى إلا بيتين هما قوله :

خَضَعَتْ لمنصُلِكَ المناصِلُ عُنْوَةً ... وأذَلَّ دينُـكَ سَـائرَ الأَدْيـانِ (٧)

والطُرقُ ضَيِّـقَةُ المسَالِكِ بالقَنَا ... والكفرُ مُجْتَمِعٌ عَلَى الإيمانِ (٨)

ولعل هذا هو الذى جعل الباحثين يختلفون حول الطابع الدينى لتلك الحرب التى دارت رحاها بين سيف الدولة وبين الروم ، فبينما يراها بعضهم ذات صبغة دينيّة وحربا صليبيّة ، سابقة على الحرب الصليبية المعروفة ، وجهادا فى سبيل الله (٩) ، يراها بعضهم الآخر ، حربا غير دينية ، وأن النزعة الدينية عند الحمدانيين وسائر المسلمين جميعا فى ذلك العصر كانت تأتى في مرحلة

(١) ديوان المتنبى حـ ٣ ص ٢٧٨
(٢) المصدر نفسه ص ٢٨٢
(٣) المصدر نفسه ص ٢٩١
(٤) ، (٥) المرجع نفسه ص ٢٩٢
(٦) ديوان المتنبى جـ٤ ص ٢٥
(٧) المصدر نفسه ص ١٨٠
(٨) المصدر نفسه ص ١٨١
(٩) الدكتور مسعود محمد الجابر . الشعر في رحاب سيف الدولة الحمدانى ، مؤسسة الرسالة . بيروت ١٩٨٢ ص ٢٨

وهو يرى أن هــذه الثورات وأمثالها إن هى إلا ثمرة للعصـر ، لا لثورة القائم بها ومدبرها وحده . وهو وأن كان يرى هذا الرأى أثناء حديثه عن ثورة الزنج التى وقعت فى البصرة ، فإنه يرى الرأى نفسه ، منطبقا على غيرها من الثورات السياسية والاجتماعيّة ، فلابد أن ينشأ عن أية ثورة لتحقيق ذلك العدل هول لا يقبله العقل ولا يرضاه الخلق (١) .

ويدافع طه حسين عن قائد ثورة الزنج ، ويرى أن المؤرخين قد شوهوا صورته ، ونسبوا إليه أشياء كثيرة ، لم يرتكبها (٢) . والذى يهمنا من هذا كله أن طه حسين يرى أن ثورة القرامطة ، كانت ثورة سياسية تطالب بالعدل الاجتماعي ، وأن تأثير تلك الثورة قد امتد من الكوفة إلي العراق كلها ، والشام ومصر (٣) . ولعل هذا ما يجعله يرى أن المتنبى كان قرمطيا عند ما أحدث ثورته بالشام .

ويشير بلاشير بإيجاز إلى موقف المؤرخين من ثورات ذلك العهد إشارة سريعة ، فيرى أن كل ثائر في ذلك الوقت كان يعتبر قرمطيا (٤) . كما يشير إلى أن ثورات ذلك العهد كانت ذات صبغة دينية وسياسية معا (٥) ، ولعله يقصد بالصبغة الدينية الاتجاه الشيعى أو الدعوة لآل علىّ أو الانتساب إليهم . وهو بهذا يتفق مع طه حسين الذى يرى أن ثورة الزنج . وثورة القرامطة كانتا تقومان على أن زعيمى الثورتين ينتسبان إلى آل على (٦) .

---

(١) نفسه ص ١٨٥ .

(٢) المصدر نفسه ص ١٨٦ .

(٣) نفسه ص ١٨٥ ، ١٨٦ .

(٤) ، (٥) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٣٦٦ .

(٦) طه حين ألوان . مرجع سابق ص ١٨٣ .

تعصب المتنبى للعرب

يتصل بعلوية المتنبى لدى محمود شاكر تعصبه للعرب ، ومحاولته رد سلطانهم المسلوب إليهم ويبين النص التالى موقف الكاتب إذ يقول : «وكأنى بالمتنبى فى طريقه يظهر فى القبائل والمدن أمر نسبه ، ويذيع بينهم أنه علوى الأصل شريف النسب ، محتالا لذلك بالدهاء ، مجتهداً فى اتخاذ العضد قبل أن يعلن أمره إعلانا صريحا ، لئلا يواقعه العلويون ، وينزلوا به كيدهم الذى يكيدون له ، دار دورته فى البلاد التى ذكرناها ، وأمره إلى علو ، لما عرف من فصاحته وبلاغته ، وحسن سمته ، وجمال هديه ، وتوقد ذكائه ، وما يمتاز به من حسن المعاشرة ، ولطيف المنادمة ، مع سعة العلم ، ودقّة الفهم له ، وكان فى القبائل البادية أظهر أمرا ، وأشد عضدا ، حتى كان آخر أمره ببنى عدى ، وبنى كلب ففشا ذكره بينهم ، وبايعوه علي العون له ، فى الدعوة إلى رد الحكومة إلي العرب دون الأعاجم ، وكان ظهوره في بنى عدى هو الذى جلب عليه السجن والشقاء» (١) .

والنص السابق يكشف عن أمرين : دعوة المتنبى لنفسه باعتباره علويا ، وميله إلى العرب وبذله الجهد لرد الحكومة والسلطان إليهم . ومما يؤكد ميله إلى العرب ظهوره فى بنى عدى ، وذلك إذ مدح سيف الدولة سنة ٣٢١ هـ (٢) . ويرى بالا شير أنه لم يلتق به إلا فى سنة ٣٣٧ هـ (٣) .

وقد أولى محمود شاكر المتنبى – وهو شاعر لا نصير له من قبيلة كبيرة أو أتباع – أهمية تفوق ما كان يمكن للمتنبى أن يحققه ، فهو يظهره بمظهر القوى الذى يتوقع منه الحكام الشر المستطير ، ويتابعونه بعيونهم حيث حل ، ويدركون فلسفته فى توحيد العرب لاسترداد سلطانهم السليب ، بل يعلمون أنه يساعد الحمدانيين في توحيدهم للعرب ، بل إن بعض الحكام كالإخشيديين كان يعتبره صنيعة للحمدانيين ، يهدف إلى القضاء على مطامع الإخشيديين فى الشام .

ولايخافه الإخشيديون وحدهم بل يخشاه كذلك دعاة القاطميين فى الشام للسبب نفسه الذى كان يخشاه من أجله الإخشيديون ، وهو كونه عميلا لسيف الدولة الذى رفض الانصياع للدعوة

---

(١) محمود شاكر . المتنبي جـ ١ ص ١٠٢

(٢) المرجع نفسه ص ١٠٣

(٣) انظر بلا شير مجلة المورد العراقية . العدد ٣ . مجلد ٦ . ص ٥٧ حيث لا يشير فى الترتيب الابجدى أو التاريخى للقصائد إلى أن أول قصيدة فى سيف الدولة هى القصيدة التى مدحه بها سنة ٣٣٧ والتي مطلعها :

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه   بان تسعدا والدمع أشفاه ساجمه

وانظر الديوان جـ ٣ ص ٣٢٥ .

العلويون المتنبى ، وهو واحد منهم وابن أحد سادتهم ، ما دامت علويته غير مكنوبة ؟

ويستبعد أن يكون المتنبى ادعّى النبوة ، ولكنه حبسس بسبب علويته تلك . فى حين أن المنطق يرى أنه سجن للسياسة لا لغيرها . ولأن الباحث يرى أن المتنبى علوى وسيف الدولة علوى أيضا ، فلابد إذن أن يكون له دور أكثر من مجرد دور الشاعر المادح ، فقد اتفقا هو وسيف الدولة على سياسة واحدة تجاه ما يحيط بالدولة الحمدانية ، كأن المتنبى قد أصبح مستشارا لسيف الدولة فيما يتصل بعلاقته بمن يحيطون بالدولة الحمدانية ، ولو أن الأمر كان كذلك ، لما عامله المتنبى تلك المعاملة القاسية . حيث يضرب فى حضرته ، فقد ضربه ابن «خالويه» بمفتاح فأسال الدم من وجهه ولم يدافع عنه سيف الدولة [1] .

وتحتاج علاقة سيف الدولة بالمتنبى إلى تفصيل أكثر لبيان وجهة نظر محمود شاكر بشأنها .

---

(١) البديعى . الصبح المنبى . ص ٨٦ ، ٨٧ ويرى أن ذلك كان أحد أسباب رحيله .

موقف المتنبى من الأعاجم

يشير دارسو المتنبى إلى أن المتنبى وهو عربى يمنى كان متعصبا للعرب [1] وأن هذا التعصب جعله يترفع عن مدح غير العرب ، وإذا كان من الطبيعى أن يتألم المتنبى لزوال سلطان العرب فى زمنه ، وتغلب الأعاجم علي السلطان ، وعلي الخليفة فى بغداد ، فإن من المبالغة القول أنه كان يترفع عن مدح غير العرب مطلقا وإنما الصحيح أنه كان لا يريد أن يمدح إلا من كان ذا سلطان يرفع من قدره ، ولابد أن ندرك أن المرحلة الأولى من حياة المتنبى قبل أن يذهب إلي بلاط سيف الدولة وهى مرحلة طويلة تبلغ أكثر من ١٥ عاما - إذ كان - قد بلغ من العمر أربعة وثلاثين عاما فقد ولد سنة ٣٠٣ هـ والتقى بسيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ . فهذه الفترة كانت من أقسى فترات الحياة عليه ، فهو شاعر غير معروف ، يمدح من يأنس فيه كرما ، وتذكر المراجع أنّه مدح كثيراً من الناس غير معروفين أو لم يكونوا ذوى مكانة مرموقة . ولما ظفر ببعض الممدوحين الذين يعطونه ما يرضيه مثل بدر بن عمار الأسدى أو التنوخين ، لمع نجمه ، وبعد صيته وتسابق الناس طلبا لمدحه ، ولكن طموحه لم يكن محدودا فأخذ يسعى لمدح أمير ذى مكانة ، وهو سيف الدولة الحمداني ، لا لأنه عربى فحسب ، بل لأنه سمع - ربما - عن كرمه ، وعما لديه من الشعراء فوجد الفرصة مواتية للتألق الحقيقى . ولذلك رفض أن يمدح أناساً عاديين ، واتخذ وسيلته إلي سيف الدولة ، ابن عمه أبا العشائر بن حمدان ، وقد مدحه ثم ترك مدحه للأبد بعد اتصاله بسيف الدولة ، ويري الدكتو طه حسين أن هذا كان من أسباب غضب أبى العشائر عليه . فيقول : «ولم يكن المتنبى حسن الوفاء لأبى العشائر فهو لم يكد يتصل بسيف الدولة حتى أعرض عن غيره من الناس ، ونسى أبا العشائر نسيانا تامًا ، فلم يذكره ولم يشر إليه ، وكان الرجل خليقا أن يلقى من صنيعته بعض الشكر علي ما قدم إليه من إحسان . فكان هذا كله ميسرا لشىء من الحلف الذى تم بين أبى العشائر وأبى فراس وأصحابه على قتل المتنبى غيلة ، إذ لم يكن من اليسير قتله جهرة ، فى غير ذنب واضح يبيح دم رجل من المسلمين» [2] .

فهو فى رأيى - لم يمدح سيف الدولة لأنه عربى فحسب ، بل أراد أن يجد لديه من الاستقرار والمجد ما لم يجده عند غيره من الممدوحين السابقين وإن كانت عربيّة سيف الدولة سوف

---

(١) جان لسيرف . مجلة المورد العراقية «المغزى التاريخي للعروبة في شعر المتنبى» . عدد ٣ ، مجلد ٦ ، ١٩٧٧ ص ٨٣ - ٩٦

(٢) طه حسين . مع المتنبى . مرجع سابق ص ٢٦٤

أعْجلْتَ ألْسنَهمْ بِضَرْبِ رِقـابهم   عَـنْ قَوْلِهـمْ لافـارِسٌ إلاّذا (١)

وقال يمدح أبا شجاع فاتكا ، وهو مملوك غير عربي : من قصيدة مطلعها :

لا خَـيْلَ عِـنْدَكَ تُهْدِيـها وَلاَ مـالُ   فلْيُسْعِدِ النُّطق إنْ لَمْ تُسْعِدِ الحالُ (٢)

حيث يقـول فيـه :

لا يـُدْرِكُ المجـدَ إلاّ سـيّدٌ فَطِـنٌ   لمـا يَشُقُّ عَلَى السـادَات فـعّالُ

لاَ وَارِثٌ جَهِـلَتْ يُمْـناهُ مـا وَهَبَتْ   ولا كَسُـوبٌ بِغَيْرِ السَّيْفِ سـآلُ

قَـالَ الزَّمـانُ لَـهُ قـوْلاً فأفـهَمَهُ   أنْ الزمـانَ عَلَى الإمْسـاكِ عـذّالُ

تَـدْرِى القَنَاةُ إذا اهْتَزَّتْ بِراحتِـه   أنْ الشـقى بـهـا خَـيْلٌ وأَبْطَالُ

كَفَـاتِـكٍ وَدُخُـولُ الـكافِ مَنْقَصَـةٌ   كالشمسِ قلْتُ وَما لِلشّمْسِ أمْثـالُ (٣)

ويقـول فيـه أيضـا :

وقد أطـال ثنـائى طـول لابسـه   أن الثناء علـى التنبـال تنبـال

إن كنت تكبر أن تختال فى بشـر   فإن قـدرك فى الأقدار يختـال

كأن نفسك لا ترضـاك صاحبـها   إلا وأنت على المفضـال مفضـال

ولا تعـدك صوانـاً لمهجتـها   إلا وأنت لهـا فى الـروع بـذال

لولا المشقة سـاد الناس كلـهم   الجود يفقـر والإقـدام قتـال (٤)

فمن يمدح فاتك هذا المدح ، لا يتعصب للعرب وحدهم ، بل إن مدحه لكافور يشهد بأن مسألة تعصبه للعرب هذه ، كانت مجرّد خواطر تثور فى نفسه لكن الواقع الذى لا يسيطر عليه العرب كان يرده إلى صوابه ، لقد قال فى كافور مدائح رائعة ، رغم ما يقال عن المدح الموجه ، أى الذى يحتمل أن يكون مدحا وهجاء . فقد ذكر صاحب الصبح المنبى ذلك المدح الموجه فقال :

بعد أن ذكر البيت التالى :

فإن نلت ما أملتُ منك فربما   شربت بماء يعجز الطير ورده

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٢ ، ٨٣

(٢) الديوان حـ ٣ ص ٢٧٦

(٣) المصدر نفسه ص ٢٧٩

(٤) المصدر نفسه ص ٢٨٦ ، ٢٨٧

الذى يرى أن المتنبى مدح كافور بشعر يمكن أن يتحول إلى ذم إذا تعمقه الناظر وتأوله ، ويرى أن ذلك راجع إلى أننا نقرأ هذا الشعر وفى ذهننا ما قال الشاعر فى ممدوحه ، أو لأننا قرأنا رأى شراحة المتأثرين برأى المتنبى ، ولو أننا قرأناه بعيدا عن هذا لكان لنا رأى آخر (١) .

ثم إن المتنبى يمدح دلير بن لشكروز لهزيمته القرامطة ، ويقول الديوان إن المتنبى قالها لقتال الخارجى الذى نجم بالكوفة من بنى كلاب ، وانصرف الخارجىّ قبل وصول «دلير» إليها : ومطلعها :

كدعواك كل يدعى صحة العقل	ومن ذا الذى يدرى بما فيه من جهل (٢)

ويقول فيها :

عَفِيفٌ تروقُ الشَمْسَ صورةُ وَجْهِهِ	وَلَوْ نَزَلَتْ شَوْقاً لَحَادَ إِلَى الظل
شجاع كأن الحرب عاشقة له	إذا زارها فَدَّتْهُ بالخيل والرجل
وريان لا تصدى إلى الخمر نفسه	وعطشان لا تروى يداه من البذل
فتمليك دلير وتعظيم قدره	شهيد بوحدانية اللّه والعدل (٣)

وهى قصيدة طويلة تبلغ الأربيعن بيتا ، ويلاحظ القارىء مبالغته في البيت الأخير عندما يدعى أن تمليك دلير وتعظيم قدره شهيد بوحدانية اللّه وعدله ، وكأنّه لا يشهد بذلك . إلا بتمليكه .

ومدحه لهؤلاء الناس دليل على أنه لم يكن يتعصب للعرب مثل ذلك التعصب الذى يجعله لا يمدح غير العرب ، ولعنا لا ننسى أنه مدح عضد الدولة ، ومدح ابن العميد ، وهما ليسا عربين ، وقال فيهما أشعارا رائعة .

ما الذى إذن أثار تلك القضية وهى قضية عروبة المتنبى ، أو بعبارة أخرى تعصبه للعرب ، إنها بعض أشعار فى ديوانه تشير إلى ذلك اطلع عليها باحثون فقرروا هذا الرأى . وقد أشرنا من قبل إلى موقف الأستاذ محمود احمد شاكر من هذه القضية يقول محمود شاكر : «وفى جوار بن عمار الأسدى بدأت عصبية أبى الطيب للعرب والعربية تسفر عن وجه ، وتجلو عن نفس الشاعر ظلمات قد ضربت عليه حجابها ، وهيأت شاعريته لما يستقبله لدى سيف

(١) المرجع نفسه ص ٣٠٣

(٢) الديوان جـ ٣ ص ٢٨٩

(٣) المصدر نفسه ص ٢٩٨

ويذهب إلى ما ذهب إليه الأستاذ محمود شاكر من أن المتنبى كان يتألم لزوال سلطان العرب ، وتحكم الأعاجم في سياسة الدولة الإسلامية ، الدكتور شوقي ضيف ، الذى يرى أن ثورة المتنبى كانت بسبب حكم أولئك الحكام الأعاجم للعرب (١) ، يقول فيما قال عن ذلك : «ويجهر بأن غضبته بل ثورته المأمولة ، إنما هي من أجل العرب الذين رضخوا لحكم الأعاجم ، ويقول إنهم لن يكتب لهم فلاح ، ماداموا قد ذلوا ورضوا حكمهم ، وكل ما يطوى فيه من عسف وقهر وإن واجبهم أن يلقوا هذا الحكم عن ظهورهم ويزيحوه عن صدورهم حتى يعود الحكم والملك عربيا كما كان أولا ...» (٢)

وهو يستمد هذه الفكرة من قول المتنبى :

أحَقُّ عافٍ بدمعك الهمم	أحدث شيء عهدا بها القدم
وإنما الناس بالملوك وما	تفلح عرب ملوكها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب	ولا عهود لهم ولا ذمم
في كل أرض وطئتها أمم	ترعى بعبد كأنهم غنم
يستخشن الخز حين يلبسه	وكان يبرى بظفره القلم (٢)

ويطيل الدكتور شوقى ضيف في تصوير ثورة المتنبى على الملوك الأعاجم الذين يحكمون العالم العربى ، ويصور ما كان يرغب فيه من ثورة تغير ذلك الوضع (٣) .

---

(١) انظر مع المتنبى . ص ١٢٧ حيث يرى طه حسين رأيا مخالفا لغيره من الناس في خلق المتنبى فهو يرى أن حياته منذ التقى ببدر بن عمار الأسدى سلسلة متصلة من بذل الكبرياء للسادة ، والقادة ، والأمراء. ثم البكاء عليها بعد أن يبذلها ويفرط فيها . فهو يرى كبرياء المتنبي التى عرف بها كبرياء كاذبة ، وأنه كان يذل لممدوحيه ، ثم يتألم على ذلك .

والمتنبي الثائر ما كان يمكن أن يكون جبانا - حسبما يرى طه حسين - الذى يرى أن المتنبي لم يصور إلا نفسه في بيته التالى :

وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا

انظر في ذلك المرجع نفسه ص ١٤٥ .

ولا يوافق الباحثون طه حسين على رأيه ، وبخاصة وأن التاريخ يخبرنا بأن المتنبي شارك سيف الدولة في بعض غزواته وثبت معه فى نفر قليل ، ويقول الدكتور عبد الوهاب عزام عن شجاعته انظر ذكرى أبى الطيب ص ١٤١ ، ١٤٣ : «وحق أن مسير أبى الطيب من الفسطاط إلى الكوفة على هذه الشاكلة تصديق ما ادعى فى شعره من الجرأة والدربة على الأسفار بالليل والنهار ، والخبرة بالبوادى ، والمعرفة بقبائل العرب وسادتها ، والدهاء والحزم وقد صدق حين قال :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والضرب والطعن والقرطاس والعلم

(٢) فصول فى الشعر ونقده ، مرجع سابق ص ٨١ ، ٨٢ .

(٣) المرجع نفسه ص ٨١ وانظر حديثه عن ثورة المتنبى التى ينوى أن يخلص بها العرب من الأعاجم . المرجع نفسه ص ٩٠

وهو فى هذه الأبيات يستعطف سيف الدولة ، محاولا أن يخفف من غلوائه فى عقابهم إلى غير ذلك مما يجعل قارىء القصيدة يحس بتعاطف الشاعر مع تلك القبائل الثائرة وحزنه علي ما حل بهم . وكان الدكتور عبد الوهاب عزام أول من التفت إلي تعاطف المتنبى مع القبائل العربية الثائرة على سيف الدولة ، فى حين أن هذا يخالف مذهبه في قصائده التى يمدح بها سيف الدولة مصورا حربه للروم . فيقول «وتختلف قصائده فى حرب الروم عن قصائده فى حرب القبائل العربيّة يتبيّن فى الأولى نقمة الشاعر على الروم ، وفرحه بانتصار المسلمين عليهم . ويبين فى القصائد التى وصف فيها حرب قبائل العرب : بنى كلاب ، وبنى قشير ، والعجلان ، وكعب ، عطف الشاعر عليهم ، والشفاعة لهم والاعتذار عنهم ، واضطراب نفسه بين الإشادة بانتصار الأمة وحزنه على ما أصاب هذه القبائل (١) . ويقول الدكتور شوقى ضيف وهو يعلق على تلك القصيدة : «والمتنبى فى مدائحه لسيف الدولة لا ينسى عروبته كأنّ العرب رُدَّ إليهم فخرهم وشرفهم وقوامهم علي يديه ، ولعل هذا هو الذي كان يؤلمه حين رأى بعض القبائل القيسية تتمرد علي سيف الدولة وتشهر السيف فى وجهه . على أنه لم يلبث حين رآه ينكل بها تنكيلا عنيفا أن رفع أمامه شعار العروبة عاليا مستعطفا إياه ، وملتمسا منه الصفح عنهم لموضعهم منه فى نسب العروبة وأواصرها الوثقى» (٢) .

والدكتور طه حسين أيضا معجب بهذه القصيدة ليس للسبب الذي ذكره الدكتور شوقى ضيف ، ولكن لجمال أسلوبها : « فقد وفق فيها المتنبى أحسن التوفيق للملاءمة بين جزالة اللفظ وسهولته ، وبين دقة المعنى وبراعته ، وحسن اختيار الوزن فعمد إلى الوافر ...» (٣)

وفى قصيدته الرائية التى يمدح بها سيف الدولة وقد أوقع ببنى عقيل ، وقشير ، وبنى العجلان وبنى كلاب حين خرجوا عليه : ومطلعها :

طوال قنا تطاعنها قصار   وقطرك فى ندى ووغى بحار (٤)

ويبدو – وكأنه يعتذر لتلك القبائل – عن نفور العرب من الخضوع للسلطان لأنها لم تتعود على ذلك فيقول فى شعر جميل :

وأخذك للحواضر والبوادى   بضبط لم تعوده نزار

---

(١) ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام مرجع سابق ص ٨٦ .
(٢) فصول في الشعر ونقده ، مرجع سابق ص ٩٦
(٣) مع المتنبى . مرجع سابق ص ٢١٩ ، وانظر المرجع نفسه ص ٢٠ لمزيد من التفاصيل
(٤) ديوان المتنبى جـ ٢ ص ١٠٠

تبريراً آخر غير ما يذهب إليه باحثون آخرون كقولهم إن حبه لسيف الدولة ناتج عن أن الأخير عربى وهو يدافع عن سلطان العرب المسلوب ، بل يرى طه حسين أن انقطاع الشاعر إلي ممدوح ما في ذلك العصر يرجع إلي الظروف السياسية والاقتصادية التى أصبحت تحتم على الشاعر أن ينقطع إلي ممدوحه ، ولا يمدح أحدا غيره وهو ما لم يكن يحدث في العصور السابقة ، حيث كان الشاعر يتمتع بقدر من الاستقلال والحرية يجعله يمدح غير ممدوحه أو يطرق موضوعات شعرية أخرى . ولكن المتنبى ما انقطع إلى ممدوح حتى كف عن أن يقول في غيره ، ولا في غرض آخر غير المدح ولو أنه فعل فمدح شخصا آخر أو أميراً آخر علي خلاف مع ممدوحه لكان ذلك وبالا عليه . فسيف الدولة لا يشغل المتنبى عن غيره من الممدوحين فحسب بل يشغله عن الشعر الخالص ، ويخلص الدكتور طه حسين إلي أن المتنبى كان يتخذ الشعر وسيلة لا غاية ، ويقصد بذلك أنه كان يتخذ الشعر وسيلة لجمع المال فقد كان عبدا للطمع والمال ، لا الجمال والفن [1] .

ويمكن القول إن المتنبى وإن كانت أشعاره تعبر عن ثورة ورغبة في القتال والمجد ، ويكثر فيها التهديد والوعيد ، فإنه كان أولا وقبل كل شيء شاعراً ، وكان فخره الدائم والمتكرر بشعره ، يشير إلي اعتزازه بهذا الشعر الذى يرى أن شاعرا ما لم يصل إلى مستواه ، ولم يبلغ درجة شاعريته ، ولم يكن هذا منه غرورا فحسب ، وإنما كان اعتزازاً بالموهبة والعبقرية أيضا . فهو مثلا يقول وهو فى سن الشعرين ، وكان قوم قد هجوا الحسين بن اسحق التنوخى ونسبوا الهجاء إليه :

وهاجى نفسه من لم يميز	كلامى من كلامهم الهراء
وإن من العجائب أن ترانى	فتعدل بى أقل من الهباء
وتنكر موتهم وأنا سهيل	طلعت بموت أولاد الزناء [2]

أو قولـــه :

وما الدهر إلا من رواة قلائدى	إذا قلت شعر أصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا	وغنى به من لا يغنى مغردا
أجزنى إذا أنشدت شعرا فإنما	أتاك بشعرى المادحون مرددا
ودع كل صوت غير صوتى فإننى	أنا الصائح المحكى والآخر الصدى [3]

(١) المرجع نفسه ص ١٧٠ ، ١٧١ باختصار وتصرف .
(٢) ديوان المتنبي جـ ١ ص ١١ ، ١٢ .
(٣) المصدر نفسه ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

للعرب ، أو داعية لمجدهم أو ثائرا لتحقيق هذا المجد . فمن يقرأ ديوانه لا يجد به ما يشير إلى تلك العروبة إشارة تجعل منها مذهبا له ، يهاجم في أثناء الدفاع عنه غير العرب ، ولكن ماذا نرى فى هذا الديوان . نجده مثلا إذا مدح عربيا أثنى على العرب ، فإذا كان العربى من نزار أثنى عليهم ببيت من الشعر أو أكثر كقوله يمدح سيف الدولة

تهاب سيوف الهند وهى حدائـد   فكيف إذا كانت نزارية عربا (١)

أو يقول فى سيف الدولة مشيرا إلى الخليفة أو الخلافة العباسية :

ويكبر أن تقـذى بشـىء جفـونـه   إذا مـا رأتـه خـلـة بـك فـرت
جزي الله عنى سيف دولة هاشـم   فإن نداه الغمر سيفى ودولتى (٢)

فهو يذكر بنى هاشم فى هذا البيت .. وعندما يمدح محمد بن عبيد الله العلوى يقول إنه خير قريش أبا :

خـير قريـش أبا وأمجـدها   أكثرها نائـلا وأجـودهـا
تـاج لـؤى بن غـالـب وبـه   سمالها فرعها ومحتدها (٣)

وقد يفضل اليمنى على المضرى لأن ممدوحه يمنى كقوله :

قد كنت أحسب أن المجد من مضر   حتى تبحتر فهو اليـوم من أدد (٤)

ويقـول فى سيف الدولـة :

إمـام للأئمـة من قريـش   إلى من يتقون له شقاقا (٥)

وقال يمدح عبد الله بن يحيى البحترى ، بأن قحطان هم سادة العرب فيقول :

كفى بأنك من قحطان من شرف   وإن فخرت فكل من مواليـكا (٦)

---

(١) ديوان المتنبي حـ ١ ص ٦١
(٢) ديوان المتنبى نفسه ص ٢١ ، ٢٢٢
(٣) المصدر نفسه ص ٣٠٥ ، ٣٠٦
(٤) المصدر نفسه ص ٣٥٢
(٥) الديوان حـ ٢ ص ٢٩٨
(٦) الديوان حـ ٢ ص ٣٧٩

تعتصمان منه كل فيما لاعه من بلده الذى يعيش فيه ويقصد أن من يخالفه من العرب والروم لن ينجو منه . وهو يذكر كذلك قبيلة تغلب التى ينتمى إليها سيف الدولة مادحا : فيقول :

فتيها وفخراً تغلب ابنة وائل — فأنت لخير الفاخرين قبيل (١)

ويمدح سيف الدولة كذلك بأن رسول الروم تحير فى عظمته :

تحير فى سيف ربيعة أصله — وطابعه الرحمن واللـه صاقل (٢)

وهو يفضل العرب على الأكراد فى أبيات ثلاثة تفضيلا لا يخلو من حذر واحتياط فيقول :

إن كنت عن خير الأنام سائلا — فخيرهم أكثرهم فضائلا

من أنت منهم يا همام وائلا — الطاعنين فى الوغى أوائلا

والعاذلين فى الندى العواذلا — قد فضلوا لفضلك القبائلا (٣)

فأنت تراه يفضل قبيلة الشاعر ، لا العرب كلم على الأكراد ، فهم أى قبيلة الشاعر فضلت الأكراد لما أورده من شجاعتهم وكرمهم .

ويمدح سيف الدولة بأنه قد رفع من مكانة العرب وأقدارهم فيقول :

رفعت بك العرب العماد — وصيرت قِمَمَ الملوك مواقد النيران

أنساب فخرهم إليك وإنما — أنساب أصلهم إلى عدنان (٤)

ثم هو يجعل كل كريم يمانى إذا كان يمدح قحطانيا ، فيقول علي لسان بعض بنى تنوخ كما يذكر الديوان :

ومجدى يدل بنى خندف — على أن كل كريم يمانى (٥)

ولكنه يقول فى مدح كافور : فيفضله على العرب قحطانيين وعدنانيين :

وأى قبيل يستحق قدره — معد بن عدنان فداك ويعرب (٦)

---

(١) المصدر نفسه ص ١٠٩

(٢) الديوان جـ ٣ ص ١١٥

(٣) الديوان جـ ٣ ص ١١١

(٤) الديوان جـ ٤ ص ١٨٤ ، ١٨٥

(٥) المصدر نفسه ص ١٨٨

(٦) الديوان جـ ١ ص ١٨٨

بأرض العرب ، وتملكهم مقاليد المسلمين . وكم سمعنا تحريضه العرب علي إنتزاع الأمر من أيديهم ، لأنه لاصلاح لحالهم مادامت أمورهم فى أيدى أولئك الأعاجم الذين لا أدب عندهم ولا عهود لهم ولا ذمم .

إنما الناس بالملوك وما	تنفع عرب ملكوها عجم
لا أدب عندهم ولا حسب	ولا عهود لهم ولا ذمم
فى كل أرض وطئتها أمم	ترعى بعبد كأنهم غنم
يستخشن الخز حين يلبسه	وكان يبرى بظفره القلم (١)

وإذا سلمنا بأن المتنبى ترفع عن مدح المهلبى وغيره ببغداد لأنهم أعاجم ، فلماذا مدح عضد الدولة البويهى ، وابن العميد ، وهما أعجميان ؟

---

(١) دكتور محمد عبد الرحمن شعيب . المتنبى بين ناقديه . ط ٢ . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٩ ص ٢٩ ، ٣٠ .

المتنبى وادعــاء النبوة

نبوة المتنبى مسألة خلافية عند القدماء ، فبعضهم يراه قد ادعى النبوة ثم سجن ، وأطلق سـراحـه . ومن هؤلاء ابن العديم فى «بغية الطلب» الذى يذكر أن المتنبى تنبـأ في بـادية السـمـاوة ونواحـيها ، وخرج إليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الإخشيديّة فقاتله ومن معه من قبائل كلب وكلاب وهزمـهم ، وحبس المتنبى فتـرة طويلة ، حتي مرض وكـاد يهلك ، ثم سـئل فـيه فـاسـتـتابه وأطلق سراحه ، بعد أن أعلن رجوعه إلى الإسلام ، وعدم العودة إلي ما قام به وكتب عليه وثيقة ببطلان ما ادعاه من النبـوة ...» (١) .

وهذه الرواية التى ينقلـها ابن العديم صريحة فى ادعـاء المتنبى للنبوة ، وأن حبسه كان بسببها ، وقد استتيب ، وأخذت عليه الوثيقة فى ذلك ولكن ابن العديم يذكر رواية أخرى تشير إلي خروج المتنبي علي السلطان فى جموع من قبيلتى كلب وكلاب ، مدعيا أنه علوى حسنى من ناحية ، ومدعيا النبوة من ناحية أخرى . ويذكر الخبر أن المتنبى أشـهد عليه فـى الدعويين بأنه كاذب فيهما معا ، وأنه قد حبس لدعواه تلك ثم استتيب وأطلق سراحه (٢) .

وهكذا نرى روايتين إحـداهمـا ترى أنه ادعّي النبـوة وحـدها وسـجن من أجل ذلك الادعـاء ، والأخرى ترى أنه ادعى النبوة والعلوية ، وسجن من أجل ذلك . وهناك رواية ثالثة تقول إنه سجن لأنه ذكـر فى بـعض شـعـره ، النور الذى ظهـر لاهوتـه فـى ممدوحـه ، ودار هذا الكلام على الألسن ، فسجن وذلك فى قوله من قصيدته التى مطلعها :

كـفى أرانى ويك لومك ألومـا ... هم أقام على فؤاد أنجـما (٣)

فقد قـال فيـها :

أنـا مبصر وأظـن أنـى نائـم ... من كان يحلم با لإله فأحلما (٤)

فقالوا : «قد تجلى لأبى الطيب ربه ، وبهذا وقع فى السجن والوثاق» (٥) . وهو فى هذا الخبر الثالث سجن لشعر قاله فى ممدوحه ، الذى كان ربما متصوفا أو شيعيّاً غاليا .

(١) انظر المتنبى حـ ٢ . ص ٢٥٩ بتصرف حيث ينشر محمود شاكر ما قاله ابن العديم في ابغية الطلب . وما نقلناه منها بتصرف .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٥٧ .
(٣) ديوان المتنبى حـ ٤ ص ٢٧
(٤) المصدر نفسه ص ٣٢
(٥) المتبنى حـ ٢ ص ٢٥٧

نسب إلى أبى الطيب من دعوى النبوة ، ولم يكن بين أبى العلاء وأبى الطيب غير فترة قصيرة من
الوقت ، إذ كان قتل هذا قبل مولد ذاك بنحو تسع سنوات ، فهو أحق أن يتثبت من صدق الخبر ،
لو كان إلى التثبت منه سبيل . وإن كان هذا الحافظ الثقة على علمه بأخبار المتنبى وإعجابه به ، وقربه
منه ، وقلة تهيبه لدعوى النبوءة يشك ويتردد ، فغاية جهد التاريخ والأدب أن يقفا هذا الموقف ، وألا
يجزما برأي في أمر القصة التى رواها عن المتنبى جماعة من معاصريه ، أكثرهم من خصومه
وحساده ، والحاقدين عليه ، أو من ملفقى الأحاديث ، الذين ينقض بعض كلامهم بعضا ، فلا يؤخذ
مأخذ اليقين ، إذ لم يثبت من إرهاصات هذه النبوة التى وسم بها الرجل شيء ، غير أنه حبس فى
صباه ، وأنه كان يهجى بها فى عصره ، وليس كل ما يقرف به المهجو المحسود بحجة عليه» (١) .

ويرى العقاد بعد رفضه لنبوّة المتنبى - كما رأينا - علي أساس من رفض أبى العلاء لها
ولأنها تهمة موجهة إلى المتنبى من قبل خصومه وحاسديه من معاصريه ، أن ظروف العصر والبيئة
تجعله يشتبه فى حدوث أدعاد النبوة من المتنبى . فيقول «غير أنى والحق يقال لا أستبعد دعوى
النبوة على المتني ، ولا أجدها غريبة منه ، ولو أنها ثبتت عليه ، لما رأيت فى ذلك ما يدعو إلى
دهشة أو غرابة ويحمل على حيطة أو زيادة تنقيب» (٢) . ثم يقول : «ولكننى ظننت ذلك الظن لأن
نشأة المتنبى وحالة عصره وشعره ، وجملة ترجمته كلها مما يوسع العذر للمشتبه ، ويوائم مقتضيات
الدعوى التى نسبت إليه» (٣) .

فالبيئة التى نشأ فيها المتنبى كانت مسرحا للدعوة القرمطية ، كثيرة الفتن والاضطرابات ،
فقد ملك القرامطة البحرين وغزو البصرة ، وقطعوا طريق الحج ، وأغاروا على مكة ونقلوا منها
الحجر الأسود إلى هجر ، وألقوا جثث القتلى فى بئر زمزم ، واستهوت الدعوة اتباعها ، وأثر ذلك
فى المتنبى الذى كانت سنهُ عندئذ حوالى اثنتى عشر عاما (٤) . وقد رأى المتنبى من هم أقل منه

---

(١) المرجع نفسه ص ١٢١ ، وانظر الكتور عبد العزيز الدسوقى . فى عالم المتنبى ص ١٥٨ حث يرى أن المتبنى لم
يدع النبوة ، وإنما ثار متمردا على الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة . وانظر الهلال . أغسطس ١٩٣٥ .
احمد أمين «هل كان المتنبى فيلسوفا ؟ ص ١٩ ، ٢٠ حيث يرى أن المتنبى ادعى النبوة ويسلم بذلك ، وكأنه من
الحقائق المقررة . وانظر المرجع نفسه ص ٢٤ ، ٢٦ حيث يرى مطران فى مقال له بعنوان : «أبو الطيب المتنبى
كان عبقريا ولكن» . أن المتبنى ادعى النبوة .
وانظر محمود شاكر المبتنى جـ ١ ص ١٠٩ حيث يرى أن المتبى سجن بتهمة سياسية وليس لادعائه النبوة .
(٢) المرجع نفسه ص ١٢١ ، ١٢٢ .
(٣) المرجع نفسه ص ١٢٢
(٤) المرجع نفسه ص ١٢٢ ، ١٢٣ بتصرف .

الكلاب ، فيموت بعد وقت قصير (١) . وهى أعمال توحى بأن أبا العلاء كان يشك فى ادعاء المتنبى للنبوة ، وإلا فلماذا فعل ما فعل . ولكنه لايقطع بذلك .

وعلى أيّة حال فقد رأى الأستاذ العقاد مسترشداً برأى أبى العلاء أن المتنبى كان كل ما حوله يمهد له أن يفعل هذا الذى يتهم به ، وإن القطع بذلك غير ممكن لتعذر وجود الدليل القاطع . ولكنه يذهب إلي أن المتنبى كان علَويا ينتسب إلى علّى بن أبى طالب ، وأنه ربما أراد أن يستغل دعوة القرامطة فى تحقيق ثورة علَوية . وهو بهذا الرأى يسبق الأستاذ محمود محمد شاكر الذى يرى أن المتنبى علوى ينتهى نسبه إلى علي بن أبى طالب رضى الله عنه (٢) ، وإن كان يخالفه فى أن المتنبى ربما يكون قد استغل علويته في تحقيق ثورة قرمطية ، وبخاصة وأن بعض الشيعة الإمامية كانوا يقولون بالحلول .

كما يشير الأستاذ العقاد إلي اختلاط دعوة الإسماعيلية من الشيعة بدعوة القرامطة مبينا ما كان يقال من أن الإسماعيلية كانوا يدينون بالمانوية (٣) . ولا أريد أن أطيل فى بيان ما ذكره العقاد هنا ، لكننى اكتفى بما يشير إليه عن أخلاق المتنبى التى ذكرها القدماء ، وهو أنه لم يكن يصلى ولا يصوم ولا يقرأ القرآن ، ولم يكن يزكى بعد ثرائه ، كما لم يكن يوقر الأنبياء فيقول : «أضف إلى ذلك أن المتنبى لم يكن يصلى ولا يصوم ولا يقرأ القرآن ، ولا يؤدى زكاة بعد أن أثرى ، ولم يكن متورعا وثيق الإيمان بطبيعة مزاجه ، لأنه صاحب مطامع دنيوية ، وعقل موكل بالأعمال والوقائع لا بالعقائد والعبادات ، وتعرف ذلك من لهجه فى شعره بالحكمة العملية ، ومن قلة توقيره للأنبياء ، وخفّة أسمائهم على لسانه ، حتى كان يقرن نفسه بهم ، كما قال فى إحدى قصائده :

ما مقامى بأرض نخلة إلا ... كمقام المسيح بين اليهود

وكما قال فى القصيدة نفسها :

أنا فى أمة تداركها اللّـ ... ـه غريب كصالح فى ثمود (٤)

---

(١) المرجع نفسه ص ٤٢٣ ، ٤٢٤

(٢) انظر محمود شاكر . المتنبي ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٣) عباس محمود العقاد . مطالعات في الكتب والحياة ص ١٢٣ ، ١٢٤ وانظر ما يقوله طه حسين عن شيعية المتنبى وقرمطيته . مع المتنبي . مرجع سابق ص ٤٥ «أجد فى نفسى شعورا قويا جدا بأن المتنبى نشأ نشأة شيعية غالية ، لم تلبث أن استحالت إلى قرمطية خالصة» .

(٤) المرجع نفسه ص ١٢٤ .

أو قولـه يهجو كـافورا :

ألا فتى يـورد الـهـنديّ هـامتـه	كيما تزول شـكوك النـاس والتهم
فإنـه حجـة يـؤذى القلـوب بـهـا	من دينه الدهر والتعطيل والقدم [١]

وينتهى العـقـاد بعد كل هذا البحث ، إلا أنه لا دليل يقطع بإدعاء المتنبى للنبوة ولا بجهره بها ، وإنما ينبز بهذا اللقب لتشبهه بالأنبياء [٢] . وتأتى أهمـيـة آراء العقـاد لأنها سابقة على آراء محمـود شـاكر .

ويرى الدكتور طه حسين انحراف المتنبى عن الجادّة الدينية معتمدا على مقطوعة من شعره ، ويعتبر هذا الشعر دليلا واضحا على ذلك . والمقطوعة هى قوله :

يا أيـــها المـلك المصـفى جوهـراً	من ذات ذى الملكوت أسمى من سما
نـــور تظاهـــر فيـك لاهــوتية	فتكاد تعلـم علـم ما لـن يعلـــما
ويـــهم فيـك إذا نطـقت فصـاحة	من كل عضـو منـك أن يتـــكلما
أنا مبـــصـر وأظـن أنـــى نائـم	مــن كان يحلــم بالإلـه فأحــلما
كـــبر العـيـان علـى حـتى إنـــه	صار اليقين من العـيان توهـما [٣]

وقد رفض محـمـود شاكر أن يكون المتنبي قد ادعى النبـوة [٤] فبعد أن يستشهد ببعض الأشعار التى تتخذ للتدليل على أن اللقب كان لدوران أسماء الأنبياء فى هذا الشعر ، أو تشبيهه نفسه بهم ، يرى أن الشعراء هم الذين الصقوا به هذا اللقب ، ويضـيف إلى ذلك تعفف المتنبى وتورعه [٥] . وهو هنا يتفق مع كثير مما قال به العقاد من قبل ، وهى كلها آراء مستمدة من أقوال القدماء . ويرى الأستاذ شاكر أن حبس المتنبى كان راجعا لأنه عَلَوِّي ، أى ينتسب إلي على بن أبى طالب رضى الله عنه [٦] .

---

(١) المرجع نفسه ص ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٢) المرجع نفسه ص ١٢٥ .

(٣) مع المتنبي ، مرجع سابق ص ٤٤ ، ٤٥ وانظر الديوان جـ ٤ ص ٣١ ، ٣٢ .

(٤) محمود محمد شاكر . المتنبى . مرجع سابق ص ١١٢ - ١١٤

(٥) المرجع نفسه ص ١١٥

(٦) المرجع نفسه ص ١١٦

المتنبى وسيف الدولة

يشير صاحب «الصبح المنبى» إلى أن المتنبى كان خاملا ضعيف الشأن قبل أن يتصل بأبى العشائر ابن حمدان ، الذى قدمه لسيف الدولة بعد ذلك [(١)] ، ولكن هل كان المتنبى خاملا عندئذ أى سنة ٣٣٧ هـ ؟ يرفض هذه الفكرة محمود شاكر ، ويرى أن المتنبى لم يكن مجهولا ولا مغمورا قبل ذلك حتى سنة ٣٢١ هـ وهى السنة التى تعرف فيها المتنبى بسيف الدولة قبل أن يذهب إليه وينقطع لمدحه . ولكنه يراه موضوعا تحت رقابة صارمة من عيون الدولة العباسيّة والعلويين والفاطميين [(٢)] .

ونرى أن في هذا القول مبالغة من جانب محمود شاكر ،، فلم يكن المتنبى في ذلك الحين قد عرف ولا ذاع صيته إلى هذا الحد ، ونحن نعلم أنه بقى ستة عشر عاما يمدح الناس فى الشام ، طلبا للعطاء ، وأن مجده الحقيقى كان في اتصاله بسيف الدولة وذلك في سنة ٣٣٧ هـ ، ولو أن الأستاذ شاكر قال : إنه لم يكن مغمورا ولا مجهولا عندما اتصل بسيف الدولة لأصاب كبد الحقيقة . وهذا ما يذهب إليه بلا شير [(٣)] . ويذهب طه حسين أيضا إلى أن المتنبى قد أصبح شاعرا مشهورا معروفا عند اتصاله بسيف الدولة ، وأنه كان يدرك هذه الشهرة ، ويقدرها حق قدرها فيمدح من يريد ، ويمتنع عن مدح من يشاء [(٤)] .

وكان لسيف الدولة الذى قصده المتنبى شعراء آخرون . مثل السريّ الرفاء بن احمد الكندى (ت ٣٣٦ هـ) على أحد الأقوال [(٥)] ، وأبى بكر الصنوبرى (ت ٣٣٤) [(٦)] ، وأبى الفرج الببغاء (ت ٣٩٨ هـ) والخالدين . فضلا عن أبى فراس الحمدانى (الحارث بن سعيد بن حمدان) (٣٢٠-٣٥٧ هـ) [(٧)] .

---

(١) أنظر . البديعى . الصبح المنبى ص ٦٨ - ٧١

(٢) محمود شاكر . المتنبي . ص ٩٧

(٣) أنظر مجلة المورد العراقية العدد ٣ ، مجلد ٦ ص ٤٦ حيث يرى أن المتنبى قبل ذلك وفي سنة ٣٣٠ هـ ، لم يعد الشاعر الذى يتضور جوعا ، ولا الفنان المجهول ، وأصبح بمقدوره اختيار حماته أى ممدوحيه .

(٤) مع المتنبي . ص ١٦١

(٥) بروكلمان تاريخ الأدب العربى حـ ٢ . ط ٢ . دار المعارف . القاهرة . ١٩٦٨ ص ٩٦

(٦) المرجع نفسه ص ٩٧ ، ٩٨

(٧) المرجع نفسه ص ٩٢

وقـولـه :

والأسى قبل فرقة الروح عجـز | والأسى لا يكـون بعـد الفـراق
إلـف هـذا الهـواء أوقع فى الأنـ | ـفس أن الحمـام مر المـذاق [1]

ويقول بروكلمان عن تأثره بالفلسفة الإغريقية : « وقد تأثرت حكمه الشعرية التى نالت كبير الإعجاب بالمحصول الفكرى للفلسفة الإغريقية التى كانت واسعة الانتشار فى عصره [2] . وينكر الخالديان أن يكون المتنبى قليل المعرفة والثقافة . كما ينفيان عنه ما يتهم به على يد الحاتمى وغيره من أنه لم يكن يحب إبا تمام أو يبغضه [3] هو وغيره من الشعراء المحدثين [4] . ويدل هذا الخبر على أن المتنبى كان يتعرض للتشهير والكيد حسدا له ، فقد تبوأ مكانة فريدة بين شعراء زمانه ، كما عرف بثقافته الواسعة باللغة ، وتمكنه من الاستشهاد عليها نظما ونثرا [5] .

وقد قضى المتنبى – كما هو معروف – تسع سنين فى بلاط سيف الدولة ، وتعرض فيما تعرض له من الأذي للقتل ، فاضطر إلي الفرار نجاة بنفسه . واتجه إلى مصر بحثا عن المجد الذى تمثل له فى ولاية يتولاها تجعله من ذوى السلطان [6] .

ولعل طول الإقامة فى بلاط سيف الدولة ، مع دلال المتنبى ، وحرصه على أنه الشاعر الفرد في العالم العربى كله ، جعل الأمير الحمدانى يمله ، ويقسو عليه ، كما قد يكون طموح المتنبي الأول قد عاوده من جديد ، فأراد أن يبحث عن ذلك المكان الذى قد يهيىء له أكثر من مكانة الشاعر التى

---

(١) المرجع نفسه ص ٣٨٦ وانظر أيضا ص ٣٨٧ وانظر د . محمد عزت عبد الموجود

(٢) كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربى حـ ٢ ص ٨٣ ، ٨٤ ولكن لوى ماسينيون يرفض فكرة تأثر المتنبى بالفلسفة الإغريقية انظر مجلة المورد العراقية . مجلد ٦ عدد ٣ ، ١٩٧٧ ص ٦٤ . حيث يقول : «والحاتمى اشتط كل الاشتطاط حين حاول مقارنة كلمة بكلمه لإقامة الدليل علي وجود الصلة بين أبيات المتنبي الحكمية والحكم المنسوبة إلي ارسطوطاليس وإن حكم المتنبي ليست من الفلسفة الهلينية فى شىء» .

(٣) انظر الصبح المنبى ص ١٢٨ – ١٤٢ حيث يورد الحاتمى فى مجلة مع المتنبى أن الأخير لم يكن يعترف بشاعرية أبي تمام ، ويعيب شعره .

(٣) المرجع نفسه ص ١٤٢ ، ١٤٣

(٤) المرجع نفسه ص ١٤٣

(٥) انظر مجلة المورد العراقية . عدد ٣ . مجلد ٦ . ص ٤٧ حيث يرى بلاشير أن المتنبى تذرع بمشاجرة تافهة ليغادر بلاط سيف الدولة . لأن الأمير ظل محايدا في أثناء تلك المشاجرة . مما أدى إلى فتور حمل المتنبى على مغادرة حلب .

(٦) انظر بغية الطلب ، ص ٢٧٨ حيث يرى ابن العديم أن سيف الدولة كان يغتاظ من عظمته وتعاليه .

الشاعر ، فهو لم يستطع أن يرقى بفنه إلا في ظل حام يحميه ويعطف عليه ، وهو لم يستطع أن
يعيش عيشة المنتج المرتقى بفنه شيئا فشيئا إلا فى كنف الأشراف والسادة والأمراء ، كأنه النَّبْتُ
الطفيلى لا ينمو ولا يزهر إلا فى ظل الشجر الضخام المرتفعة فى السماء» (١) . وينسى الدكتور طه
أن هذا كان وضع جميع الشعراء المعاصرين للمتنبى ، بل إن شعراء بلاط سيف الدولة قد
كانوا يعيشون فى كنف الرجل ، وعلى عطاياه ، ومن يرحل منهم كالخالديين لا بد أن يبحث عن راع
جديد .

ولعل وضع الشاعر الحديث لم يتغير إلا بتغير الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية
والثقافية في مصر والعالم العربي حيث لم يعد الشاعر في حاجة إلى من يرعاه ، ويستظل بظله .
ولعلنا نذكر احمد شوقى وعلاقته بالقصر ونظره إلى وظيفته علي أنه شاعر الأمير ، ولم يتحرر
الشعراء من العيش في كنف غيرهم إلا فى مطلع العصر الحديث ، وقد أصبح ذلك أشد ظهورا بعد
ثورة سنة ١٩١٩ ، ولا نريد أن نستقصى العوامل التى أدت إلى هذا لأنه ليس موضوعنا الآن ، وإنما
نريد فقط ، أن نؤكد علي أن المتنبى فعل ما فرضه عليه وضع الشاعر فى ذلك العصر .

لقد كان اللافت لنظر طه حسين أن المتنبى عاش للمدح ، وهى حقيقة لاخلاف عليها ، ولم
يلتفت فى رأينا إلى مشاعره الخاصة ، وسيطرت على فكره قضية واحدة هى الطموح ، ولكن كما
قال بعض الباحثين من قبل فقد رضى المتنبى بوظيفة الشاعر ووطن النفس عليها ، وقلَّ من غرب
مطامحه ما أحاط به من الصعاب فى كل مكان ينتقل إليه ، وقد رأى أنه بعد أن أصبح مادحا
لسيف الدولة لا ينبغى أن يمدح من هم دونه من ولاة أو قواد أو وزراء (٢) ، ولذا رفض أن يمدح
الوزير ابن الفرات وزير كافور الإخشيدى ، وإن كان قد مدح «فاتك» ربما لغرض فى نفسه كإثارة
كافور لعطائه ، أو لأمر آخر ، وعندما ذهب إلى العراق لم يمدح المهلَّبى مع أنه مدح دلير بن لشكروز
عندما ذهب إلى الكوفة لمحاربة القرامطة ، ولا يزال السؤال حائرا لماذا لم يمدح المهلبى ، ومعز
الدولة البويهى ، ألأن معز الدولة ، كان عدوا لسيف الدولة وكان الشاعر ينوى أن يعود إليه ، ولكننا
نعلم أنه رفض تلك العودة . أم أن هناك أسبابا أخرى لا نعلمها ؟

---

(١) مع المتنبى . ص ١٦١ .

(٢) وأري أن وضع المتنبي في بلاط سيف الدولة كان حساسا لأن المتنبى لم يكن يستطيع أن يمدح أحدا مع الأسرة
الحمدانية التي وإن بدا فى الظاهر أنه لم يكن بين رؤسائها عداء أو خلاف ، فإن الحقيقة أن هذا الخلاف كان
قائما ، وقد ظهر بعد موت سيف الدولة ، فى محاولة أبى فراس الاستيلاء علي الملك ، ولكنه لم يستطع ذلك ومن
هنا لم يمدح المتنبى أحدا وهو فى بلاط سيف الدولة غير سيف الدولة نفسه .

كما يهرب ابن نباته السعدى من بلاطه كذلك بعد أن كان أثيراً عنده ، وإن كان هذا الفرار لأسباب سياسية [1] . ويصف بلاشير سيف الدولة بأنه كان حازما مع مادحيه [2] . ولعله يقصد بذلك المعاملة المتشددة معهم .

ولما كان عداء الأميرين أبى فراس وأبى العشائر الحمدانى للشاعر أمرا ثابتا ، فإننا ينبغى ألا نرفض ما يقال عن الخلافات وربما العداء بين الأسرة الحمدانية نفسها . فإذا كانت فكرة التنافس بين أبى فراس وبين المتنبى فى صنعة الشعر محتملة ، و يذكرها الباحثون فلابد من مناقشتها ، فمع أن أبي فراس هو أعظم شعراء البلاط الحمدانى بعد المتنبى ، إلا أن بين الشاعرين أوجه شبه تتمثل فى بروز شخصية أبى فراس ، وبروز شخصية المتنبى في شعريهما ، وإن كان لبروز شخصية الأول أسباب أخري ، فهو أمير طامح ، وفارس شجاع ، وهو لا يمدح تكسبا ، ولا يمدح إلا سيف الدولة ، وشعره فخر وغزل وأشياء تشبه الرسائل بينه وبين أصدقائه ، كما أنه يفخر بنسب معروف مشهور . ولا أريد أن أضرب الأمثلة على شعر الفخر عنده ، وهو الفخر الذى يشيد فيه بنفسه كفارس شجاعته تصل إلى حد المبالغة ، وهو ظاهر في ديوانه ظهورا واضحا . ومما يدل على أن تلك المنافسة بين أبى فراس والمتنبى لم تكن علي الشعر أن أبا فراس ينفى عن نفسه أن يكون شاعرا ، مادحا . ولا أظن أنه ينفي عن نفسه حقا الشاعرية ، وإنما هو ينفى عن نفسه أن يكون ممن يؤجر على مدحه . يقول :

نطقت بفضلى وامتحدت عشيرتى وما أنا مدّاح ولا أنا شاعر [3]

وقد تأثر أبو فراس ، بالمتنبى ، ولا نريد أن ندخل فى تفاصيل هذا ، لأنه ليس موضوعنا الآن ، ونرجح أن الصراع كان بين الرجلين لأن المتنبى لم يمدح أبا فراس ، ولعل هذا كان سبب خلافه مع أبى العشائر الذى لم يمدحه بعد أن عرفه بسيف الدولة .

قلنا أن الخلافات كانت موجودة بين الأسرة الحمدانية ، ويظهر هذا من أشعار لأبى فراس يقول فيها :

---

(١) المرجع السابق ص ٩٧ ، ٩٨

(٢) انظر مجلة المورد العراقية . المجلد ٦ ، العدد ٣ ، ١٩٧٧ ص ٤٦

(٣) انظر ديوان أبى فراس الحمدانى . شرح عباس عبد الستار . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط ٢ ، ١٩٨٦ ص ٩٤

مــن الجاذر فـى زى الأعاريب — حمر الحلى والمطايا والجلابيب
إن كنت تسأل شكا فـى معارفها — فمـن بــلاك بتســهيد وتعـذيب
لاتجـزنى بضنى بى بعدها بقر — تجزى دموعى مسكوبا بمسكوب

ونرى أن هذا الغزل تقليدى ، وإن كشف عن براعة المتنبى ، وهو فى تلك القصيدة يفضل البدوية علي الحضرية ، وما نظن خولة كانت بدوية ، وإنما هي أميرة مرفهة ، وحسنها - لو كان يحبها - لم يكن ليراه مجلوبا تبطرية ، أو بغيرها من وسائل صناعة الحسن والجمال ، وما كان لو كان يعشق «خولة» الحضرية ليشبه المتحضرات من النساء بالمعيز ، فى حين يشبه البدويات بالآرام في جمال العيون . وفى غزلة هذا ما يدل علي التقليدية مثل تشبيه البدويات بالبقر ، ثم حديثه عن زيارة أولئك البدويات خلسة في جنح الظلام . مما يجعلنا نرى أن شعر المتنبى الغزلى لو درس دراسة فاحصة لتبين أنه لم يدل علي عاطفة صادقة حقا عنده .

وقد تناسى الباحث فى غمرة اقتناعه بقصة «خولة» تلك ما كان حول المتنبى من شعراء وغيرهم يكيدون له ، وهى أخبار ثابتة موثقة ، فالكيد فى رأينا هو السبب لذلك الرحيل ، أما قصة الحب فلا سند لها إلا الدراسة الفنية أو «التنوقية» التى تجعل الأستاذ محمود شاكر يتصور أن المتنبى أحب خولة مستشهدا بالقصيدة التى رثاها الشاعر بها [1]

ويرى الدكتور شوقى ضيف أن المتنبى رحل عن سيف الدولة بسبب من كانوا حوله فى بلاطه ، فقد كادوا له حتى تغير الرجل عليه ، وأعرض عنه يقول : «ونَفِسَ عليه كثيرون من حاشية سيف الدولة - وفي مقدمتهم أبو فراس الحمدانى الشاعر - منزلته ، فأخذوا يكيدون له عنده ، وأحس المتنبى بكيدهم ، وأن سيف الدولة يرهف سمعه إليهم ، فأنشده قصيدة ميمية يعاتبه فيها عتابا مرا بمثل قوله :

يا أعدل النـاس إلا في معـاملتى — فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
إذا ترحّلت عن قـوم وقد قـدروا — ألا تفـارقهـم فالـراحــلون هــم

ويحاول سيف الدولة مرضاته ولكن حاشيته تظل تكيد له ، وعجيب أمر الناس فإنهم يظلون يحسدون الأديب ، حتي لو كانت ملكاته من الخصب مثل المتنبي ، بل هم يحسدونه لهذه الملكات ، ويحاولون أن يفسدوا بينه وبين راعيه . ومن عجب أن يسمع سيف الدولة لحساد المتنبى [2]» . فهذه

---

(١) انظر المتنبي جـ١ ص ٢٣١ ،، ٢٣٢ وما بعدها

(٢) شوقى ضيف . عصر الدول والإمارات . الجزيرة العربية - العراق - إيران . دار المعارف - القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٨٣ ص ٣٤٧ ، ٣٤٨

«وهذا هو الهم الذى يسقم الجسم ، ويضرم نارا في القلب ، ولا يملك له الإنسان ردا . لا يكون إلا هذا الحب العنيف الذى تتقطع دونه الآمال ، ولا يكون هذا الهم إلا ذلك ، فإن أبا الطيب كان ممتعا بكل شيء في ظل سيف الدولة ، فقد كان صاحب إقطاع ومال كثير قد أسبغه عليه سيف الدولة» (١) .

فالأبيات لا تزيد علي مبالغات يعتذر بها المتنبى عن تأخره فى مدح سيف الدولة . ولو ان الأمر أمر تأويل فإننا نجد بيتا فى رثاء أم سيف الدولة يمكن أن يكون دليلا على عشقه لها إذا أخذ على غير دلالته وهو قوله :

بعيشك هل سلَوْتِ فإن قلبى   وإن جانبت أرضك غير سالى (٢)

وهو غزل صريح ، دفعته إليه المبالغة ، ولا أدل على غرابة هذا البيت فى تلك القصيدة التى أراد بها الرثاء من قول الشارح «وقال ابن جنى وآخرون هذا مما وضعه في غير موضعه».
وأقول إن مثل هذا كان دافعه المبالغة التي تجعله يخرج علي المألوف ، وعلي قواعد اللياقة أحيانا كقوله فى رثاء أم سيف الدولة :

رواق العز فوقك مسبطر   وملك على ابنك فى كمال

وقد لاحظ البديعى ذلك فقال : «ولعل لفظة الاسبطرار في مراثى النساء من الخذلان الرقيق الصفيق المبين» (٣) .

وممن يقول بعلوية المتنبى كذلك الدكتور محمد عبد الرحمن شعيب ، ولكنه يجعلها مذهبا له ولنوقه ، ما دام نشأ بالكوفة وتعلم بمكتب كان يتعلم فيه أبناء أشراف الكوفة دروس العلوية وغيرها ، ويشير إلى مكانة الكوفة كمقر للشيعة الداعية لعلى بن أبى طالب (٤) .

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٤١

(٢) ديوان المتنبى حـ ٣ . شرح البرقوقي ص ١٤٧ . وانظر الصبح المنبى ص ٣٨٠ حيث يذكر البديعى : «فيشوق إليها ، ويخطيء خطأ لم يسبق إليه وإنما يقول ذلك من يرثى بعض أهله ، فأما استعماله إياها في هذا الموضع ، فإنه دال علي ضعف البصر بمواقع الكلام» .

(٣) الصبح المنبى ص ٣٨١

(٤) دكتور/ محمد عبد الرحمن شعيب . المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث . دار المعارف . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٦٩: ص ١٣ ، ١٤

وعلى أية حال فلم يقل أحد من المحدثين ولا القدماء أن المتنبى التقي بسيف الدولة قبل سنة ٣٣٧ هـ ، وبالتحديد فى سنة ٣٢١ هـ . إلا الأستاذ محمود شاكر ، مع أن هناك أبياتا فى القصيدة قد توحى بأنها قيلت فى سيف الدولة ، وهو مجرد إيحاء ، لا يحتمل القطع . كالبيت التالي :

عيب عليك ترى لسيف فى الوغى ... ما يصنع الصمصام بالصمصام (١)

أول قوله :

يا سيف دولة هاشم من رام أن ... يلقى منناك رام غير مرام (٢)

ويعتمد الدكتور عبد الوهاب عزام علي أن نسخ الديوان ، وأقوال شارحيه ، تتفق على أن المتنبي قال هذه القصيدة فى سنة ٣٢١ ، ولكنه يرى أن المتنبى لم يمدح بها سيف الدولة لقول المتنبى فى مدحه :

صلىّ الإله عليك غير مودع ... وسقى ثرى أبويك صوب غمام

فى حين أن أم سيف الدولة لم تتوف إلا فى سنة ٣٣٧ هـ ، وقد رثاها المتنبى

ولأن فى القصيدة كذلك : قوله :

يا سيف دولة هاشم من رام أن ... يلقى مُنَاكَ رام غير مرام

وأن سيف الدولة على بن حمدان ، لم يلقب بهذا اللقب قبل سنة ٣٣٠ هـ ، بل يرى إنه يجوز أن يكون هذا البيت منحول ، كما قال بعض شراح ديوانه .

ويجوز – كما يرى الباحث – أن يكون المقصود بقول المتنبى «ثرى أبويك» هما أبا سيف الدولة وجده ، أو لعل المتنبى لم يفطن إلى أن أم سيف الدولة كانت لا تزال حية ترزق . ومع ذلك ينتهى إلى أن كل شكوكه حول هذه القصيدة لا ترد الروايات الصريحة التى تقول إنه مدح بها سيف الدولة (٣) .

---

(٢) ديوان المتنبى حـ ٤ ص ١٠

(٣) المصدر نفسه ص ١٣

(٤) ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام ص ٨٥

المتنبى وكافور

ترك المتنبى سيف الدولة بعد أن ضاق به المقام هناك ، وفر إلى دمشق ومنها إلى مصر . يقول صاحب الصبح المنبى : "وجعل كافور الإخشيدى يكتب فى طلب المتنبى من ابن ملك" (١) وهو ما يدلى على أن المتنبى ذهب إلى مصر بدعوة من كافور . وقد اهتم كافور اهتماما بالغا بالمتنبى حتى يظفر بمدحه . وقد قلنا من قبل إن الأستاذ محمود شاكر يرى أن فراقه لسيف الدولة كان بسبب حبه خولة أخت سيف الدولة ، وأن الأخير وعده بالزواج منها ثم أخلفه ، يقول : "... إن هذا الفراق كان لأسباب قد اقتضاها حب أبى الطيب خولة أخت سيف الدولة ، وبقى أبو الطيب فى جوار صاحبه وحبيبته يتلذّع بآلام قلبه وفكره ، تسعة أعوام مجرمة ، وهو على عدة من سيف الدولة أن يحقق آمال فكره السياسية ، وأمانى قلبه وعواطفه بزواج خولة ، ثم أدركه اليأس ، وظن أن فى الفراق راحة ونسيانا" (٢)

ومع أنه لا ينكر أن الشعراء والأدباء قد ضايقوه فى هذا البلاط الحمدانى فإنه يرى أن ذلك كان بتحريض من أبى فراس وأبى العشائر بسبب حبه "لخولة" ، الذى كان السبب الأكبر فيما منى به المتنبى من الكيد (٣) ولا يرفض محمود شاكر روايات القدماء بشأن علاقة أبى الطيب بكافور ، وكيف أظهر له التهمة ، ثم أعطاه فمدحه ، ويشير إلى أنه مدح كافورا مكرها ، ولذلك بدأ مدحه له بالبيتين التاليين .

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا	وحسب المنايا أن يكن أمانيا
تمنيتها لما تمنيت أن ترى	صديقا فأعيا أو عدوا مُدَاجِيَا

ويرى أن فى هذين البيتين لاهجاء شديدا لكافور فحسب بل يرى فيهما إقذاعا وفحشا فى الهجاء ، وأنه لهذا السبب إمتلأ شعره فى مصر بالحزن والفجيعة والحسرة واليأس . ولكنه حاول بكل وسيلة أن يحصل منه على ولاية ، متحملا فى ذلك أشد الآلام . (٤)

ويتخذ الدكتور عبد الوهاب عزام موقفا مناقضا لذلك الموقف فهو يرى أن قصيدة المتنبى التى بدأها هذا البدء لا تدل على أنه مدح كافورا كارها ، وإنما هى تعبير عن حزنه لغدر صديقه

(١) الصبح المنبى ص ١١٠

(٢) محمود محمد شاكر . المتنبى جـ١ ص ٢٥٢

(٣) انظر المرجع نفسه ص ٢٥٢ – ٢٥٤

(٤) المرجع نفسه ص ٢٥٦ ، ٢٥٧

بكافور وظهر ذلك على شعره ، كقلة مدحه أو مدحه بعد فترات طويلة وفى مناسبات معينة كانت تضطره إلى القول [١]

ويمضى طه حسين إلى ماذهب إليه عبد الوهاب عزام من أن المتنبى أكثر من مدح كافور أول الأمر . ثم أخذ مدحه له يقل حتى أصبح قصيدة واحدة فى عام . ولكنه ينكر أن يكون المتنبى قد أعرض عن مدح كافور بهذه الصورة ، ويعتقد أنه مضى فى مدحه كما كان يفعل من قبل ، ولكنه أسقط هذا الشعر من ديوانه ، أو أسقطه غيره من رواة شعره بعد موته ، فلم يصل هذا الشعر إلينا ، وهو يرجح إسقاط المتنبى لمدحه فى كافور بعد أن استجداه بلا فائدة حتى لا يبقى من هذا المدح إلا ما يقيم الحجة عليه [٢]

ونخالف الدكتور طه فى هذا الرأى ، لأن أحدا من القدماء لم يشر إلى أن المتنبى أسقط شيئا من شعره فى كافور ، وكان ديوانه معروفا ، وشعره مسموعا منه ، ومرويا عنه ، وما كان ذلك ليخفى على معاصريه ، بل إن بعض شعره الذى لم يدون فى ديوانه يشير إليه "البديعى" ، ويذكر له قصيدتين فى هجاء كافور ومدح سيف الدولة . فيقول : "ورأيت له قصيدتين فى هجاء كافور ومدح سيف الدولة ، ونقلتهما عن خط أبى منصور عبد الملك محمد بن اسماعيل الثعالبى النيسابورى . قال إنهما وجدتا فى رحله لما قتل وعملها بواسط ..." [٣] وفى رأيى أنهما لا تشبهان شعر المتنبى لالغة ولا صياغة ولا خيالا .

وينفى الأستاذ سعيد الأفغانى معتمدا على الذهبى وغيره من المؤرخين القدماء ما يصف به المتنبى كافورا ، ويراه حاكما صالحا حسن العقل والتدبير ، ويرى فى وصف المؤرخين القدماء لكافوربصفات كثيرة طيبة ، ما يجعلنا لا نصدق ما يقوله المتنبى فيه ، ولو أن كافورا أراد الخلاص من المتنبى لكانت كلمة واحدة منه كافية للإطاحة برأسه . [٤] ويورد الدكتور نعمان القاضى كثيرا من أقوال القدماء عن تدين كافور ، وتواضعه للعلماء ، وكرمه ، وإغداقه على الشعراء والعلماء ، كما يتحدث أيضا عن ثقافته . [٥] وهو ما ينفى عن كافور ما يذكره المتنبى .

---

(١) ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام ص ١١٠ - ١٢٤

(٢) مع المتنبى ص ٢٩٧ ، ٣٠٢ - ٣٠٨

(٣) الصبح المنبى ص ١٠٤ ، وانظر القصيدتين المرجع نفسه ص ١٠٤ - ١٠٨

(٤) انظر المتنبى جـ ٢ ص ٢٠٦

(٥) دكتور النعمان القاضى . كافوريات أبى الطيب . مركز كتب الشرق الأوسط ومكتبتها . القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٤٩ - ٥١

ويكذب ذلك ما يقال عن ذكاء كافور وفطنته ، وتنبهه إلى المعانى التى أرادها المتنبى فى وصف شبيب العقيلى . وقد تنبه "البديعى" إلى أن بعض المديح الذى قيل فى كافور قصد به المتنبى إلى الهجاء فقال : "... وكثيرا ما يقصد المتنبى هذا القسم [يقصد المدح الذى يمكن أن يؤول إلى هجاء ، أو ما يسميه بعض الناس بالمدح الموجه] * فى كافورياته كقوله :

عـدوك مذمـوم بكل لسـان	ولو كان من أعدائك القمـران
ولـله سر فى عـلاك وإنما	كلام العدا ضرب من الهذيان

إلى أن قال فى أواخرها :

قضـى اللـه يا كافور أنـك أول	وليس بقـاض أن يرى لك ثـان
فمـا لك تخـتار القسى وإنمـا	عن السعد يرمى دونك الثقـلان
ومـالك تعـنى بالأسـنة والقنـا	وجـدك طعـان بغـير سـنان
ولم تحمل السيف الطويل نجاده	وأنت غنى عنـه بالحـدثان [(١)]

وينقل عبد الوهاب عزام عن معجم الأدباء أن أبا الطيب لما أنشد كافورا قوله فى هذه القصيدة مشيدا بشبيب .

وقد قتل الأقران حتى قتلته	بأضعف قرن فى أذل مكان

أدرك كافور مغزى هذا القول ، وهو التهوين بشأن انتصاره على شبيب فقال لا والله بل بأشد قرن فى أعز مكان [(٢)] ، كما يذكر عنه أنه لما سمع قول أبى الطيب فى قصيدته التى ذكر فيها الحمى وهو بمصر :

ولما صار ود النـاس خبا	جزيت على ابتسام بابتسام

لم يبتسم كافور له ، كما كان يفعل من قبل [(٣)] . وهذا يدل على أن كافورا فطن إلى مرامى أبى الطيب ، ومقاصده . ولو فرضنا جدلا أنه لم يفطن إلى ذلك ، ألم يكن يجد فى خصوم المتنبى من حوله كابن الفرات وغيره ، من يجعله يفطن إلى هذا .

* الإضافة التى بين القوسين من عندنا
(١) الصبح المنبى ص ١١٩ ، ١٢٠ .
(٢) ، (٣) ذكرى أبى الطيب ص ١٠٦

وتعلق به ورثاه لا لغاية اللهم إلا إغاظة كافور إن صح هذا . ويرى الدكتور طه حسين الرأى نفسه الذى ذكره عبدالوهاب عزام فيقول : وقد اعتل فاتك وأقبل إلى القاهرة يستشفى ، سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة ولعله احتال فى لقاء المتنبى ، واحتال المتنبى فى لقائه ، وأتيح لهما هذا اللقاء فى الصحراء ، كما يقول ابن خلكان ، ثم أهدى أبو شجاع إلى المتنبى فأحسن الإهداء ، وأعطاه فأجزل العطاء . واستأذن المتنبى كافورا فى أن يشكر لفاتك إهداءه وعطاءه . فلم يجد كافور بدا من الإذن مجاملة ومصانعة أيضا" [١]

ويمدحه بأبيات جميلة أخرى فى سياق حديثه عن مسيره من مصر فيقول :

تخدى الركاب بنا بيضا مشافرها	خضرا فراسنها فى الرغل واليَنم
معكومة بسياط القوم مضربها	عن مَنْبِتِ العشب نبغى مَنْبِتِ الكرم
وأين منبته من بعد منبته	أبى شجاع قريع العرب والعجم
لا فاتك آخر فى مصر نقصده	ولا له خَلَفٌ فى الناس كلهم
من لا تشابهه الأحياء فى شيم	أمْسىَ تشابهه الأموات فى الرمم
عدمته وكأنى سرت أطلبه	فما تزيدنى الدنيا على العدم [٢]

كما رثاه فى مواضع أخرى من شعره .

وهناك قضية تتعلق بامتناع المتنبى عن مدح ابن خنزابه وزير كافور الإخشيدى مما جعله يكيد له ، كيدا بالغا ، وهجاه بعد خروجه من مصر [٣] ويذكر الدكتور عبد الوهاب عزام أثر امتناع أبى الطيب عن مدح ابن الفرات (ابن خنزابه) فى أن كافور لم يحقق له ما يريد ، وأنه لو مدح الوزير وتوسل به لربما تحقق له ما كان ينشده ، ولكن الباحث يرى أنه لم يمدحه ، ربما لأنه لم يحتف به كما يجب فأعرض عن مدحه [٤] . ويذكر الدكتور محمد كامل حسين أن ابن خنزابه كان حاقدا على المتنبى ، لأنه لم يمدحه ، وأن المتنبى بدوره كان حاقدا عليه لأنه لم يرضه ، فحرض الوزير الشعراء والأدباء عليه ، الذين بدورهم كانوا يحقدون عليه شهرته ومكانته [٥] بل يذهب الكتور محمد حسين إلى أن قصيدة المتنبى التى مطلعها :

---

(١) مع المتنبى ص ٣٢٥
(٢) الديوان جـ ٤ ص ١٥٨ ، ١٥٩
(٣) محمود شاكر المتنبى ص ٢٦١
(٤) ذكرى أبى الطيب ص ١٢٩
(٥) دكتور محمد كامل حسين . أدبنا فى عصر الولاة . دار الفكر العربى القاهرة ، ١٩٦١ ص ٢١٨

أبا المسك هل فى الكأس فضل أناله | فإنى أغنى منذ حين وتشرب
وهبت على مقدار كفى زماننا | ونفسى على مقدار كفيك تطلب
إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية | فجودك يكسونى وشغلك يسلب (١)

أو إشارته إلى ذلك تلميحا فى قوله :

فارم بى ما أردت منى فإنى | أسد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وإن كا | ن لسانى يرى من الشعراء (٢)

ويرى شارح الديوان أن المتنبى كان يعرض لكافور فى مدحه ليوليه ولاية ولكن كافورا لم يحقق له ذلك (٣)

ثم هناك قضية أخرى ، وهى قضية تحويل قصائد مديح المتنبى فى كافور إلى هجاء ، وهو أمر قد ينطبق على بعض الأبيات بعد تأويل من تأول ذلك من خصوم المتنبى ، ولكن يبقى بعد ذلك كثير من القصائد التى تشهد بعظمة هذا المديح .

ويقول فى مدح رائع له ملمحا بالولاية أو الملك :

قالوا هجرت إليه الغيث قلت لهم | إلى غيوث يديه والشآبيب
إلى الذى تهب الدولات راحته | ولا يمن على آثار موهوب (٤)

ومن مدحه الرائع لكافور الأخشيدى والذى ينقض محاولات تحويل المديح إلى هجاء قوله :

ترعرع الملك الأستاذ مكتهلا | قبل إكتهال أديبا قبل تأديب
مُجَرَّباً فهما من قبل تجربة | مهذبا كرماً من قبل تهذيب
حتى أصاب من الدنيا نهايتها | وهمه فى ابتداءات وتشبيب
يدبر الملك من مصر إلى عدن | إلى العراق فأرض الروم فالنوُبِ
إذا أتتها الرياح النكب من بلد | فما تهب بها إلا بترتيب
ولا تجاوزها شمس إذا شرقت | إلا ومنه لها إذن بتغريب (٥)

---

(١) ديوان أبى الطيب المتنبى . بشرح العكبرى . جـ ١ . دار الفكر . بيروت الفكر - بيروت . د . ت . ص ١٨٢
(٢) ، (٣) المصدر نفسه ص ٣٦
(٤) المصدر نفسه ص ١٧٣
(٥) المصدر نفسه ص ١٧٠ ، ١٧١

وأظلم أهل الظلم من بات حاسدا	لمن بات فى نعمائه يتقلب
وأنت الذى ربيت ذا الملك مرضعا	وليس له أم هناك ولا أب
وكنت له ليث العرين لشبله	ومالك إلا الهندوانى مخلب
لقيت القناعنه بنفس كريمة	إلى الموت فى الهيجا من العار تهرب
وقد يترك النفس التى لاتهابه	ويخترم النفس التى تتهيب
وما عبم اللاقبوك بأسا وشدة	ولكن من لاقوا أشد وأنجب (١)

وقد يقع الشاعر فى التكلف وهو يمدحه فيقول مثلا : فى القصيدة نفسها :

وما طربى لما رأيتك بدعة	لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب (٢)

فيظن أن المتنبى كان يقصد بذلك ، هجاء كافور فى صورة المدح ، فالبيت يشبه الاستهزاء - كما يرى الواحدى - إذ جعله كالقرد (٣) . ولقد تكلف الشعراء السابقون للمتنبى والمعاصرون له الكثير مما يشبه هذا وهو بيت ضمن قصيدة رائعة من قصائد المديح ، فلا يغض من مدحه للرجل . وفى رأينا أن كافور لو حقق للمتنبى مبتغاه ، لكان له فيه آيات رائعات من الشعر فضلا عما قاله فيه .

ويؤخذ عليه قوله :

تجاوز قدر المدح حتى كأنه	بأحسن ما يثنى عليه يعاب (٤)

إذ يراه ابن جنى من المدح الذى كاد أن ينقلب لإفراطه هجوا (٥) وهذا راجع كما يرى ابن جنى إلى مبالغة المتنبى فى مديحه دون قصد - فى رأينا - إلى هجوه بحال من الأحوال . وهو يقول ما يمدح به قبل هذا البيت وبعده مديحا طيبا : فيقول بعد هذا البيت :

وأوسع ما تلقاه صدرا وخلفه	رماء وطعن ، والأمام ضراب
وأنفذ ما تلقاه حكما إذا قضى	قضاء ملوك الأرض منه غضاب

(١) الديوان جـ ١ ، ص ١٨٥
(٢) المصدر نفسه ص ١٨٦
(٣) انظر المصدر نفسه هامش ص ١٨٧
(٤) المصدر نفسه ص ١٩٤
(٥) انظر المصدر نفسه هامش ص ١٩٤

المتنبى فى العراق وبلاد فارس

لقد كانت تجربة المتنبى فى العراق بعد مغادرته مصر تجربة قاسية ذلك أنه بعد أن وصل إلى الكوفة اتجه إلى بغداد ، ولكنه كما هو معروف لم يمدح الوزير المهلبى ولا معز الدولة البويهى ، وهو أمر لا يمكن تفسيره على وجه القطع . فالاستاذ محمود شاكر يجعله رجلا سياسيا خطيرا يذهب إلى بغداد للاطلاع على مجريات الأمور بها ليرى ماذا ينبغى عليه أن يفعل ، يقول : "أقام أبو الطيب بالكوفة أشهرا ثم خرج من سنته تلك إلى بغداد فنزل على صاحب له هو على بن حمزة البصرى ، وأقام عنده فى داره ، وبين من نزول أبى الطيب على هذا الفتى دون سواه من رجال الدولة فى ذلك العهد ، أنه قصد بذلك أن يبدى بفعله ازدراءه لهم ، واستهانته بهم . ولعله كان مما أراد أيضا أن يكون على مقربة من سياسة الدولة ، ليخبر الرجال الذين كانوا يوقدون نار الفتنة إذ ذاك ، وليروز ما عندهم ، وهذا بين مما قدمناه قبل من المراسلة التى كانت بينه وبين سيف الدولة ." (١)

فهل حقا كان المتنبى يريد أن يظهر إزدراءه للمسئولين فى بغداد ؟ وهل حقا ذهب إلى هناك ليعرف أسرار السياسة عن كثب فى مقر الخلافة ؟

نعتقد أن هذا الدور وهذا الصنع أكبر كثيرا مما تحتمله إمكانات المتنبى الشاعر ، لعله - فى رأيى - كان ينتظر أن يرسل إليه المهلبى أو ، معز الدولة وأن يمنى بشىء ، وأن يلقى من الحفاوة ما هو أهل له . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث وأنتظر رجال السلطة أن يفد عليهم شاعر عدوهم سيف الدولة مادحا فلم يفعل فساءت العلاقة بينه وبينهم . أما أن يكون المتنبى وسيف الدولة لهما فكر سياسى مشترك يريدان تحقيقه ، وهو إعادة مجد العرب ، وخلع سلطان الموالى فضلا عن أنهما كانا يريدان القضاء على الفتن التى يثيرها العلويون والفاطميون ، لما لهذه الثورات من أضرار على سلطان العرب ، والتمكين لسلطان الأعاجم (٢) ، فأمور لانظنها معقولة .

ولو أننا قرأنا القصيدة التى نظمها المتنبى عندما طلب إليه سيف الدولة أن يعود إليه لوجدناه يدعوه إليه شاعرا لا رجل سياسة . ونرى المتنبى خائفا من الوشاة ، ومن عيب جوهرى فى شخص سيف الدولة وهو أنه - وإن كان يحب المتنبى ، فإنه سرعان ما يستجيب لوشايات الوشاة : يقول :

---

(١) محمود شاكر . المتنبي حـ ١ ص ٢٧١

(٢) المرجع نفسه ص ٢٢٣

وطنه حوالى ثلاثة عشر عاما منها تسع فى حلب وأربع فى مصر كان يستطيع البقاء بعض الوقت فى شيراز .

ويرى طه حسين أن عودة المتنبى إلى العراق من مصر قد قلبت حياته رأسا علي عقب ، فقد تخلص من قرمطيته بمحاربته القرامطة فى الكوفة (١) بعد أن فر من مصر ، ثم تخلص من عروبته بمدح غير العرب مثل دلير بن لشكروز، ثم هو يمدح ابن العميد وعضد الدولة مفضلا إياهما علي سيف الدولة (٢) وقد سبق أن تحدثنا عن قرمطية الشاعر المزعومة ، وعن عروبته بما فيه الكفاية . فقد رفضناها لأنها لا دليل عليها ، كما رفضها غيرنا .

وقبل أن ننهى كلامنا عن المتنبى فى فارس نشير إلى نقطة أشار إليها محمود شاكر وهى بغض المتنبي لابن العميد وعضد الدولة البويهى لأسباب سياسية ، أو بعبارة أخري لأنهما من أتباع الشيعة الفاطمية ، أو لأنهما لم يكونا عربيين (٣) . إذ نعتقد أن التعصب للعرب بهذه الصورة لم يكن يشغل المتنبى الذى جرح جرحين كبيرين أحدهما عند سيف الدولة ، والآخر عند كافور ، ومن ثم فقد أراد - فى رأيى - أن يثبت مكانته كشاعر بمدح ممدوح ذى اعتبار مثل عضد الدولة وإن كان قد بدأ بمدح ابن العميد . وإذا كان محمود شاكر يستخدم صدق منهج « تذوق الشعر » لكى يبين أشياء مهمة في حياة الشاعر ، مثل صدق عواطفه أو تكلفه فإنه لا بد أن يلاحظ إبداع الشاعر في مدحهما ، وهو إبداع لا يخلو من صدق العاطفة . فهو مثلا يقول مادحا ابن العميد :

يا من إذا ورد البلاد كتابه ... قبل الجيوش ثنى الجيوش تحيرا
أنت الوحيد إذا ركبت طريقةً ... ومن الرديف إذا ركبت غضنفرا
قطف الرجال القول قبل نباته ... وقطفت أنت القول لما نورا
فهو المتبع بالمسامع إن مضى ... وهو المضاعف حسنه إن كررا
وإذا سكت فإن أبلغ خاطب ... قلم لك اتخذ الأنامل منبرا
فدعاك حسدك الرئيس وأمسكوا ... ودعاك خالقك الرئيس الأكبرا (٤)

---

(١) انظر بلاشير مجلة المورد العراقية عدد ٢ مجلد ٦ ، ١٩٧٧ ص ٤٧ حيث يرى أن صده لهجمات القرامطة على الكوفة سنة ٣٥٢ هـ ، جعلته ينسى فكرة العودة إلى سيف الدولة . وكأنه قد تخلص من قرمطيته .

(٢) مع المتنبى ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

(٣) محمود شاكر . المتنبى حـ ١ ، ص ٢٧٨ ، ٢٧٩

(٤) الصبح المنبى ص ١٥١

البــاب الثـــانى

شـعر المتنبـى

الدراسة الفنية لشعر المتنبى

حاول محمود شاكر وطه حسين إبراز الجوانب الفنية فى شعر المتنبى متخذين المنهج التاريخى وسيلتهما لتلك الدراسة ، فهما يبدءان بالحديث عن نشأته حتى يصبح شاعرا مشهورا ، ثم ينتهيان بالحديث عن مقتله ٣٥٤ هـ . وسوف نلاحظ عظم الدور الذى يوليه طه حسين للجانب الفنى فى شعره مقارنا بالدور الذى يوليه محمود شاكر لهذا الجانب [١] .

وقبل أن نعرض لرأى الباحثين بالتفصيل ، نتناول بالإيضاح بعض الظواهر الفنية التى تعرض لها القدماء بالدراسة فى شعر المتنبى ، وهى الآراء التى كان لها أثر كبير على دراسات المحدثين جميعا . كما سنعرض لآراء بعض المحدثين فى هذا المجال .

لقد لاحظ القدماء ظواهر فنية فى شعر المتنبى ، وعدها بعضهم مآخذ ، كما لاحظ غيرهم كثيراً من المزايا الفنية . فمن حيث المآخذ تحدثوا عن التعقيد فى شعره [٢] أو نكر الفلسفة [٣] أو غلوه [٤] أو إفراطه فى الاستعارة [٥] ، أو خروجه على قواعد اللغة والنحو [٦] ، واستعماله اسم الإشارة «ذا» بكثرة [٧] وسرقاته الشعرية [٨] وغير ذلك .

يذكر العميدى أن المتنبى كان يخاطب الممدوح من الملوك مخاطبة المحبوب والصديق مع الإحسان فى ذلك ، ويراه قد أنفرد بهذا المذهب ، واستكثر فيه اقتدارا وتبحرا ، ورفعا لنفسه عن درجة الشعراء ، وتدريجا لها إلى مماثلة الملوك [٩] وهذا ليس بغريب على المتنبى الطامح للحكم والسلطان ، ويضرب على ذلك أمثلة من شعره كقوله فى مدح كافور :

---

(١) دكتور عبد العزيز الدسوقى . فى عالم المتنبى ط ٢ . دار الشروق . القاهرة ، ١٩٨٨ ص ١٧١ فرغم أنه يشيد بكتاب محمود شاكر يفضل كتاب طه حسين ، لأن الأخير يهتم بالدراسة الفنية والتذوق الجمالى ، ويجعل من القضايا الفكرية التى يعرض لها فى كتابه على هامش تلك الدراسة الفنية ، ويرى فى ذلك ممنهجا مستقيما فى النقد .

(٢) انظر الوساطة ص ٩٨ ، ٩٩

(٣) االمصدر نفسه ص ١٨٢

(٤) المصدر نفسه ص ٤٢٤

(٥) المصدر نفسه ص ٤٢٩ وانظر الثعالبى . أبو الطيب المتنبى ماله وما عليه ص ٨٢

(٦) المصدر نفسه ص ٤٤١

(٧) المصدر نفسه ص ٩٥ وانظر الثعالبى . أبو الطيب المتنبى ماله وما عليه ص ٨٣

(٨) المصدر نفسه ص ١٨٣

(٩) الصبح المنبى ص ٤٣٠ وانظر الثعالبى أبو الطيب المتنبى ماله وما عليه ص ١١١ ويبدو أنه المصدر الذى استقى منه صاحب الصبح المنبى أغلب آرائه .

فلـدتني نعمـابها اسـتعبدتني ورأيت إتيـان المكّارِمِ مغنما (١)

فإذا كان العميدى قد رآه مسخ بيت النمرى وتعب فى ذلك ، فإننا نرى أن الشعر لايمكن أن يؤلف بهذه الصورة ، وهو أن يضع الشاعر نصب عينه أبياتا لشاعر معين ليأخذ معناه فيمسخه أو يسلخه ، أو يأخذه أخذا حسنا . ومع ذلك فبيت المتنبى أفضل من أبيات النمرى الثلاثة . فاللجوء إلى الغزل كان أسلوبا جديداً للشاعر ينقل فيه مادة الغزل إلى المدح ، نقلا حسنا ، وقد شهد له القـدماء بذلك . ونعتقد أنه وإن كان استخدام ألفـاظ الغزل فى المدح يمثل مذهبا للمتنبى ، فإن هذا قـد يكون أثرا من آثار أبى تمام عليه ، فقد ذهب أبو تمام هذا المذهب فى قصيدته فى فتح عمورية ، وإن كان ذلك على نطاق ضيق جدا ، كقوله :

مـــاربع ميــة معمـــــورا يطيــف به غيــلان أبهى ربىً من ربعهــا الخــرب
ولا الخـــدود وقــد أدمين مـن خـجـــل أشهى إلى ناظرى من خدها الترب (٢)

ويبدو لى أن المتنبى ألم به فى قوله :

قد صبغت خدها الدمـاء كما يصبغ خد الخريدة الخجل (٣)

ولكننا نلاحظ أن استخدام أبى تمام هنا محدود للغاية ، إذا قسناه باستخدام المتنبى ، كما كانت للمتنبى ظواهر لغوية انفرد بها كاستخدامه للتصغير . ويذكر البديعى ولوع المتنبى بالتصغير فيقول «فقد كان مولعا بالتصغير ، لايقنع من ذلك بخلسة المغير ، ولا ملامة عليه ، إنما هى عادة صارت كالطبع ، فما حسن منها مانوس الربع ، ولكنها تعتبر مع المحاسن» (٤) .

وقد كتب الأستاذ عباس محمود العقاد مقالا فى البلاغ بتاريخ ١٠ ديسمبر سنة ١٩٢٣ بعنوان «ولع المتنبى بالتصغير» (٥) ، ورد هذا الولع إلى انشغال المتنبى بالتعبير عن شعوره بالعظمة . وهو شعور كان قد سيطر عليه ، ويرى أن كل قصائده تفخيم لشعائر المجد ، وفخر بالهمة التى تدفعه إلى ذلك ، ويذكر أن فخره بنفسه ظاهر فى شعره ، أما مدحه لغيره فليس إلا فخراً بنفسه قد

---

(١) العميدى الإبانة عن سرقات المتنبى . ص ٥٩
(٢) ديوان أبى تمام جـ ١ ص ٥٦ ، ٥٧
(٣) الصبح المنبى ص ٢٣١
(٤) المرجع نفسه ص ٢٩٠ ويشير إلى أن هذا الرأي هو رأى أبى العلاء المعرى .
(٥) مطالعات فى الكتب والحياة ص ١٢٦

فليسوفا يتشاعر ، فإن أبا الطيب شاعر يتفلسف إنما لأبى الطيب خطرات فى الحياة من هنا ومن هنا لا يجمعها جامعة إلا نفس أبى الطيب ، والمحيط الذى يسبح فيه ويتشرب منه» (١) وينكر أن يكون المتنبى قد نظم أقوال فلاسفة اليونان ، ويراها نابعة من نفسه ومن تراث العرب فى الحكمة (٢) كما يلاحظ بعضهم اغرابه (٣) ، وبعضهم الآخر استعماله أساليب المتصوفة فى التعبير : لقوله :

إذا ما الكأس أرعشت اليدين ... صحوت فلم تحل بينى وبينى

وقـولــه :

كـبر العـيان على حتى إنـه ... صار اليقين من العيان توهما

أو قـولــه :

ولـــولا أننى فى غير نـوم ... لكنت أظننى منى خيالا (٤)

ويأخذ عليه البديعى ذلك فيقول : «ومنها امتثال ألفاظ المتصوفة ، واستعمال كلماتهم المعقدة ، ومعانيهم المغلقة» (٥) .

ولا أريد أن استقصى كل ما قيل ، وإنما أردت فقط أن أشير إلى مثل تلك الملاحظات التى كانت منطلقا لكثير من الدراسات الحديثة حول المتنبى سواء فى ذلك شعره أو خلقه أو غير ذلك من الأمور (٦) . ولكن تلك الملاحظات لم تجعل القدماء يغضون من فضل المتنبى إلا من كان متحاملا عليه ، حاسدا لما وصل إليه من الفضل ، والشهرة ، أو لما بلغه من الشاعرية ولهذا نوه هؤلاء القدماء بإبداعه ، فالقاضى على بن عبد العزيز الجرجانى يورد له الشعر الرائع ليكون حجة له وعذرا بين

---

(١) ، (٢) الهلال أغسطس ١٩٣٥ ، هل كان المتنبي فيلسوفا ؟ ص ١٨

(٣) انظر يوهان فك . العربية . ترجمة الدكتور رمضان عبد التواب . مكتبة الخانجى . القاهرة ١٩٨٠ ص ١٧٠ حيث يذكر أن من المعايب التى أخذها الصاحب بن عباد علي المتنبى حرصه علي التفاصح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة تشبها بالبدو ، وكأنه عاش في البادية ولم يطأ الحاضرة . ولكن يوهان فك يرى أن السهولة والرشاقة والانتقاء كانت هى المعايير التى يتحدد بها الأسلوب البليغ ، فقد أصبح الشعر ضربا من بلاغة التعبير يقترب من النثر انظر ذلك المرجع نفسه ص ١٧٢ ، ١٧٣ . ومن الإنصاف للمتنبي أن نقول إن هذه الظاهرة - أعني استعمال الغريب ، ليست غالبة على شعره . وانظر فى هذا ابن رشيق العمدة جـ ٢ تحقيق محمد محيى عبد الحميد . دار الجيل بيروت لبنان ص ٢٦٦ حيث يشير إلى ولع المتنبى بالوحشى من الكلام .

(٤) انظر الصبح المنبى ص ٣٨٤ ، ٣٨٥

(٥) المرجع نفسه ص ٣٨٤ .

(٦) انظر دكتور درويش الجندى ، الرمزية في الأدب العربى . دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ، ١٩٧٢ ص ٢٦٥ ، ٢٦٦ . حيث يشير إلى غموض شعر المتنبى ، ويرجعه إلي الغرابة ، وانفصال عجز البيت أحيانا عن صدره واستعمال ألفاظ المتصوفة ومعانيهم المغلقة ، واستخدام الأقيسة المنطقية ، والقوالب الفلسفية .

فيقول مثلا : «والذى يشهد به الحق أن معانى أبى الطيب أكثر عددا ، وأسد مقصدا ، ألا ترى أن البحترى قد قصر مجموع قصيدته على وصف شجاعة الممدوح ... الخ» [1] ويقول أيضا : «ثم إنه تفنن فى خيلائه ، وفى هيئة مشيه ، واختياله مع شجاعته ... الخ» [2]

والحقيقة أن السرقات أصبحت موضوعا من موضوعات النقد الأدبى فى العصر العباسى . وتبدو المبالغة الشديدة فى نسبة السرقة إلى شاعر معين وقد أشار الدكتور محمد مصطفى هدارة إلى مبالغة بعض النقاد فى نسبة السرق إلى بعض الشعراء فقال : «على أن بعض الروايات التى ذكرت سرقات بعض الشعراء العباسيين كان مبالغا فيها كل المبالغة ...» [3] ونضيف إلى ذلك أن كثيرا من الاتهام بالسرق كان مفتعلا يعتمد على أدنى شبهة . وقد حدث هذا مع المتنبى ومع غيره ، ونقصر حديثنا هنا على المتنبى موضوع دراستنا فمن ذلك قول الثعالبى :

"... وقال بعض العرب ، وهو من الأمثال السائرة :

إذا بـل مـن داء بـه ظـن أنـه ... نجا ، وبه الداء الذى هو قاتله

أخذه أبو الطيب فقال وأحسن :

وإن أسـلم فمـا أبقـى ولـكـن ... سلمت من الحمام إلى الحمام [4]

ولاشك أن هذا التشابه لايقطع بأخذ المتنبى بحال من الأحوال ، ومع ذلك فالبيتان مختلفان ، ولايمكن أن يقاس البيت السابق ببيت أبى الطيب ومن أغرب الأشياء أن يورد الثعالبى رأيا مفاده أنه المتنبى سرق قوله :

أزورهم وسواد الليل يشفع لى ... وأنثنى وبياض الصبح يغرى بى

---

(١) المرجع نفسه ص ٢٥٨

(٢) المرجع نفسه ص ٢٥٨ ، ٢٥٩

(٣) محمد مصطفى هدارة . مشكلة السرقات في النقد العربى . المكتب الإسلامى . بيروت . الطبعة الثالثة ١٩٨١ ص ٤٥ وانظر دكتور عبد القادر القط مفهوم الشعر عند العرب ص ١٤٦ حيث يرى أن القدماء قد بالغوا فيما أضفوه على السرقات من أهمية .

(٤) الثعالبي . أبو الطيب المتنبى ماله وما عليه . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . مكتبة الحسين التجارية . القاهرة . د . ت ص ٥٤ ، ٥٥

الذى أخذ عنه المتنبى بيته ، بينما عجز ابن خنزابة ومعاونوه عن معرفة ذلك . ولكن ابن جنى لاينكر أن يكون المتنبى وابن المعتز قد أخذا المعنى من شاعر سابق وقعا على شعره ، دون أن يدرك هذا أحد . كما لا ينفى عن المتنبى أن يكون مبتدعا لهذا المعنى . وهو أمر محتمل جدا ، بل هو فى رأيى أصح الآراء .

محمود شاكر والدراسة الفنية لشعر المتنبى

تعرض محمود شاكر لشاعرية المتنبى ، وأصدر أحكاما على شعره ، وقبل أن نعرض لذلك نبين عن مفهوم الشاعرية عنده ، والذى يتلخص فى الموهبة ، والاعتماد على الكشف عن عواطف الشاعر وأحاسيسه ، وقد كشف الباحث عن ذلك فى قوله : «إنما يعتمد (أى المتنبى) فى توليد معانى شعره على استيعاب ما بنفسه من الأفراح والآلام ، ما تقادم فيها وما جد ، ثم الاستغراق فى تأمل هذه الذخائر التى فى نفسه ورد بعضها إلى بعض ، وربط الغائب منها بالشاهد ، وعطف الأول منها على الآخر . وإنما كانت تتراءى لعينيه حوادث قلبه ، وحوادث دهره وتتردد فى سمعه أصوات قلبه موصلة بأصوات الناس وكلامهم ماقل منه وماعظم ، وكان هذا الاستغراق فى تأمل ما بنفسه هو أحد الأسرار العظيمة فى تصوير شاعريته ، وتسويتها وتنشئتها وتغذيتها وتنميتها إلى الغاية التى هى عليها فى شعره» [1] .

وكأنى بالباحث يريد أن يقول إن شعر المتنبى هو ثمرة خبرة وثقافة ، وعاطفة . فالشاعر يستفيد من خبراته الماضية ومن الأحداث الجارية حوله ، ثم يتأمل ما بنفسه ، وينتج عن هذا شعره . ويشير إلى ما أشار إليه بعض القدماء من استخدام المتنبى للفلسفة فى شعره ، ولكنه لايرى رأيهم الذى يسوقونه للغض من شعر المتنبى [2] ، وإنما يراه قد استفاد من آراء المتكلمين ، والمتفلسفة ، وخالفهم بأسلوبه الأدبى الجميل المعبر [3] . ويحدد قصيدتين قالهما المتنبى فى بدر بن عمار تمثلان - فى رأيه - نقطة انقلاب فى شعر المتنبى الأولى مطلعها :

أبَعْدَ نأى المليحة البخل   فى البعد مالا تكلف الإبل [4]

والثانية وهى التى وصف فيها الأسد ، ومدح فيها بدرا ، ومطلعها :

فى الخد إن عزم الخليط رحيلا   مطر تزيد به الخدود محولا [5]

---

(١) محمود شاكر . المتنبى ص ٢٢٦

(٢) انظر الثعالبى . أبو الطيب المتنبى ماله وما عليه ص ٩٢ ، وانظر العمدة ط ص ١٢٨ حيث يرى استخدام الفلسفة فى الشعر عيبا : فيقول : «والفلسفة وجر الأخبار باب آخر غير الشعر ، فإن وقع فيه شىء منهما فبقدر . لا يجب أن يجعلا نصب العين فيكونا متكأ وإستراحة ، وإنما الشعر ما أطرب وهز النفوس وحرك الطباع» .

(٣) المتنبى . ص ١٢٥

(٤) ديوان المتنبى جـ ٢ ص ٢٠٩

(٥) المصدر نفسه ص ٢٣٢

نفسها . وبخاصة إذا كان المتنبى يمدح وربما مدح من ليس يكن له احتراما كبيرا ، كما فعل مع كثير من ممدوحيه بالشام . ولعل تجلى قدرة الشاعر على المديح فى مدحه لبدر بن عمار وسيف الدولة دفعت بالأستاذ محمود شاكر إلى ربط هذه الإجادة بكون الممدوح عربيا . والشاعر - فى رأيه - متعصب للعرب ضد الأعاجم ، ولذا أجاد ، إذ كان صادقا مع نفسه ، لا يتصنع ولا يتكلف للممدوح ماليس فيه . ويستدل الباحث على ذلك بأن نغمة الاعتداد بالنفس فى شعر المتنبى تخف حدتها وهو يمدح بدر بن عمار [1] ، ثم سيف الدولة من بعده . فهو فى مدحه لبنى حمدان ولسيف الدولة بوجه خاص يغير تلك النغمة : يقول الأستاذ شاكر : «رأيت قبل أن المتنبى كان إذا مدح بدأ بنفسه فذكرها ومجدها ، وعظمها ثم يبدى آراءه فى الدنيا ، ويكشف عن الثورة القائمة فى ضميره وقلبه ، ثم ينذر ويوعد ويهدد . فلما بدأ اتصاله ببنى حمدان ، ترك هذا المنهج ، وادخر قوته كلها لأمر غير هذا الأمر . وأسبغ على بنى حمدان ما كان يسبغ من قبل على نفسه من ثياب المجد ، فهو يصفهم كما كان يصف نفسه ، ويعلو بهم إلى غاية السمو فى القوة والسلطان والسماحة والمروءة وعظم المطلب . ولم يذكر نفسه إلا حين يحرجه الوشاة والساعون بالشر بينه وبينهم ...» [2] .

وهو أيضا فعل ذلك وهو يمدح بدر بن عمار قبل سيف الدولة ، فقد ترك تهديده ووعيده والحديث عن مطامعه ومطامحه . فهو : «... لا يمجد نفسه فى شعره الذى يمدح له (الرجل) ، بل يبذل كل كريمة من الصفات لهذا الممدوح مضربا عن ذكر ثورته ، تاركا وعيده وتهديده إلا أن يحرج كما حدثناك قبل . وقد رأيت فيما مضى أن هذا قد وقع من أبى الطيب حين

---

(١) وقد استقرأت قصائد المتنبى فى بدر بن عمار ومقطوعات فيه ، فلم أجده يتحدث عن نفسه بطريق الفخر والتعالى إلا فى ثلاث قصائد الأولى : ويذكر فيها نفسه ويتحدث عن شجاعته قائلا: انظر الديوان جـ ٣ ص ٢١١ ، ٢١٢ :

ومهمه جبته على قدمى	يعجز عنه العرامس الذلل
بصارمى مرتد بمخبرتى	مجتزىء ، بالظلام مشتمل
إذا صديق نكرت جانبه	لم تعينى فى فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب	وفى بلاد من أختها بدل

ويتحدث عن نفسه مرة أخري (انظر الديوان جـ ٣ ص ٣٢١) ولكن في صيغة الشكوى لا الفخر . ويذكر نفسه مرة ثالثة ، على سبيل الشكوى وذكر الحساد (انظر فى ذلك جـ ٤ ص ٢٠٤ ، - ٢٠٧ ، ص ١٩٧ ، ١٩٨) . ويتضح من هذا الاستقراء أن ما ذكره الأستاذ محمود شاكر صحيح تماما . وباستقراء قصائد المتنبى فى سيف الدولة تبين أنه لم يذكر نفسه مفاخرا ، أو متحدثا بشجاعته أو عن جودة شعره ، أو حسادة إلا فى ١٤ قصيدة ، علي تفاوت في كم ما يذكره عن هذه الأمور مما يجعل ما ذكره الأستاذ محمود شاكر صحيحا فيما يتصل بإبراز المتنبى لذاته قبل سيف الدولة ، وترك ذلك . إلا في حالات خاصة عند ما كان يناوشه حساده .

(٢) المتنبى جـ١ ص ١٨٣

وشاعر الحكماء» [1] . فالحكمة فى شعره عند سيف الدولة هى من وحى المرأة التى أحبها .

وإذا كان شعره فى المدح قد ارتقى بعد اتصاله بسيف الدولة للأسباب التى ذكرها ، فإنه يصف غزله بالضعف لأنه أحب حبا عنيفا يقول : «والحب القوى النافذ الذى يتملك حواس المحب ويغلب عليها ، هو بطبيعته امتداد بهذه الحواس إلى غايات بعيدة لم تكن تصل إليها قبل غلبته على القلب والنفس والفكر . فلهذا حين أحب أبو الطيب الرجل الثائر المتكبر الشاعر الحكيم البيانى الفكر واللسان ، كان امتداد نفسه وترامیها إلى غايات بعينها من الرجولة والثورة والكبرياء والحكمة والفكر ، ولم يستطع أن يكون ، بعد أن غلب الحب قلبه وتفاسح ، شاعرا غزلا رقيق البيان . وهذا هو السر عندنا فى ضعف مادة الغزل عند أبى الطيب ، وقوة مادة الحكمة وما إليها ، مما هو من طبيعته المتأصلة على ما فصلناه فى أثناء كلامنا . وليس يصح عندنا ألا يكون أبو الطيب عاشقا صبا متدلها ، مالم نجد فى شعره غزلا ولا أنينا وحنينا وبكاء» [2] .

والواقع أن الشاعر العاشق المتمكن من اللغة إذا كان ذا هوى حقيقى لابد أن يظهر هذا فى شعره على صورة غزل رائع كما فعل العذريون وغيرهم ممن كانوا يعبرون فى شعرهم عن هواهم الصادق ولكن ضعف غزل الشاعر يرجع إلى انشغاله بالاحتراف أو بعبارة أخرى بالمديح ، وقد قيل عن الفرزدق إن غزله كان ضعيفا ، ولم يكن عاشقا ، وإنما كانت نظرته للمرأة نظرة مادية . وهل كان الأخطل وجرير شاعرين غزلين ، لقد أضاع أولئك الشعراء حياتهم يتكسبون بالشعر ولم ينصرفوا إلى عواطفهم الخاصّة والصادقة إلا قليلا . والمتنبى الطموح كان مثلهم مشغولا بأمور أخرى غير الغزل وتتمثل فى المديح الذى هو كل شعره فى الحقيقة ، وماعداه من أشعار أخرى كالرثاء هى مدح للميت لأنها لم تكن رثاء صادقا إلا فى بعض الحالات . كرثائه لفاتك أو لخولة أخت سيف الدولة .

وقد يجد قارئ شعر المتنبى أبياتا تدل على سوء ظن بالمرأة ، وقد يبدو أنه غير مهتم بها ، بل منصرف عن اللهو من أى نوع * ، ولماذا نتحدث عن المتنبى وحده ، فكذلك كان أبو تمام نفسه ، يغلب على غزله التقليد ولم يعرف عنه الهوى للنساء ، بل عرف عنه هوى آخر لنفس الجنس . أما أن يكون الحب لدى المتنبى قد دفعه للإجادة فى شعره لدى سيف الدولة ونستثنى من ذلك الشعر

(1) المرجع نفسه ص ٢٢٧ ، ٢٢٨ .

(2) المرجع نفسه ص ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

* وسوف نعرض لهذا الموضوع بالتفصيل فيما بعد

مشاعر المتنبى ، ولا تدل على اضطراب أو عجز فى رؤيته . ويمكن أن نعتبر ما قاله الدكتور عبد العزيز الدسوقى فى منهجه التذوقى هذا صحيحا : «والأستاذ شاكر مولع بهذا الجدل ، مولع بهذا الصراع العقلى ، وقد صرفه هذا الولع فى كتابه عن التفرغ للتذوق الفنى ، وبذلك تحول كتابه إلى مجموعة من الأقيسة المنطقية والقضايا العقلية أخضع الشعر لسطوتها ليثبت أمورا لاعلاقة لها بقضية التذوق الفنى» [1] .

وإن كان بعض ما لاحظه محمود شاكر من ملاحظات فنية أخذت شكلا آخر عند طه حسين كحديث محمود شاكر السابق عن ذكر المتنبى نفسه فى قصائده قبل أن يتصل بسيف الدولة ، وكيف أنه كف عن ذلك عندما اتصل به ، فقد تنبه طه حسين لهذه الحقيقة ، ومضى بها خطوة أبعد عندما لاحظ أن المتنبى وهو يمدح كافوراً قسم قصيدة المدح بين أشخاص ثلاثة : كافور وسيف الدولة والمتنبى نفسه [2] ويشير إلى الفكرة نفسها الدكتور محمد فتوح أحمد أى إلى ثلاثية عناصر الرؤية فى قصائد المتنبى فى سيف الدولة ، وكافور ، أى أن الشاعر يعبر فى قصيدته عن مدحه لكافور مثلا ، ثم يعبر عن نفسه وسيف الدولة كذلك : فيقول : «حتى لو بدا أن هذا المشهد خاص فى أساسه للعلاقة بين الشاعر وممدوحه ، وحينئذ تصبح عناصر الرؤية الشعرية شبه مثلثة ، ففى إحدى زواياها صورة الشاعر ، وفى ثانيتها صورة الممدوح ، وفى ثالثتها صورة الآخر ، بكل ما ينتجه تقابل الزوايا على هذا النحو من إحساس بالمفارقة» [3] والآخر هو سيف الدولة [4] .

---

(١) عبد العزيز الدسوقى . في عالم المتنبى ص ١٧١

(٢) مع المتنبى . ص ٢٩٨ .

(٣) شعر المتنبى قراءة أخرى ص ٦٧ .

(٤) المرجع نفسه ص ٦٨ .

طه حسين والدراسة الفنية لشعر المتنبى

الدكتور طه حسين معجب بالمتنبى كشاعر رغم كثير من المآخذ التى أخذها عليه فهو يقول عنه : «وكان المتنبى أكبر الشعراء المعاصرين (له) وأبعدهم صوتا من غير مراء» (١) ومن هنا فإننا نراه ، وقد أخذ فى درسه يعجب بأشعاره إعجابا شديداً ، وإن كان يرى أنه فى بعض شعره ينصب القافية أولا ثم ينظم الشعر عليها (٢) وهو رأى نخالفه فيه ، لأن شاعرا عظيما كالمتنبى لايمكن أن يكون شعره وليد هذه العملية التى تجرد الشاعر لو فعلها من شاعريته . ولابد أن يكون الشعر الصادر عنها شعرا رديئاً ، وقد رأينا أن طبع المتنبى كان سمحا ، وأنه كان يرتجل بعض الأشعار ، كما أنه كان يستطيع أن ينظم قصيدة فى المدح فى وقت قصير . يذكر البديعى أن أحدهم روى له ، أنه ذهب إلى إلى المتنبى ، وقال له : إن الأمير أبا محمد الحسن بن عبد الله بن طغج يطلبه ، فعلم المتنبى أنه يريد مدحه . فطلب إليه أن يمكث قليلا ، ثم دخل إلى إحدى حجرات بيته ، ولم يلبث إلا فترة قصيرة تكفى لكتابة القصيدة ثم خرج بها ، لم يجف مدادها ، وهى القصيدة التى مطلعها :

أنا لائمى إن كنت وقت اللوائم ... علمت بما بى بين تلك المعالم (٣)

وهى قصيدة طويلة يبلغ عدد أبياتها ستة وثلاثين بيتا ، وفيها يقول :

من الحلم أن تستعمل الجهل دونه ... إذا اتسعت فى الحلم طرق المظالم
وأن ترد الماء الذى شطره دم ... فتسقى ، إذا لم يسق من لايزاحم
ومن عرف الأيام معرفتى بها ... وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم إذا ظفروا به ... ولا فى الردى الجارى عليهم بآثم (٤)

كما أنه كان يستزاد ، فيقول على البديهة . كما قال بعد أن طلب إليه سيف الدولة إجازة أبيات لبعض الكتاب فأجازها (٥) ، واستزاده فقال : ارتجالا خمسة وعشرين بيتا أولها قوله :

---

(١) مع المتنبى ص ٣٦٠

(٢) انظر المتنبى ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، وهو رأى يخالفه ما ذكره الصاحب بن عباد فى رسالته عن مساوىء المتنبى . والمنشور ضمن الإبانة عن سرقات المتنبى ص ٢٦٨ حيث يقول : « ولا يزال يكرب القوافى الصعبة ثقة بالقريحة السمحة » فهو يفعل ذلك للتدليل على مقدرته وليس يفعل ذلك ضعفا .

(٣) الصبح المنبى ص ٣٣٢ ، وانظر ديوان المتنبى حـ ٤ ص ١١٠

(٤) الديوان حـ ٤ ص ١١٢

(٥) الديوان حـ ١ ص ١

صنعة الشعر عند بعض الشعراء . ونرى تأثره الواضح بابن طباطبا العلوى [1] ، وإن توسع فيما ذهب إليه العلوى بعض توسع . والذى يعنينا هنا أن أبا الطيب لم يعرف بشئ من ذلك ، وإن زعم بعض الدارسين كابن رشيق أن أبا تمام وغيره كانوا يسلكون هذه الطريقة التى تعتمد على نصب القافية للبيت قبل صياغته . سواء نظم الشاعر بعض الأبيات ثم اختار القافية بعد ذلك ، أو اختار القافية ابتداء [2] .

ويرى دكتور «صاحب» أن طه حسين لم يكن راضيا عن المتنبى عندما قال : إن المتنبى خرج على مألوف اللغة النحو ، ولم يخضع إلا لفنه ، ولم يحفل بغضب لغوى أو نحوى [3] . والحق أن طه حسين كان يرى أن المتنبى حينئذ قد بلغ مرحلة ضخمة من النضج والتحول فى فنه الشعرى [4] .

وقد يرى طه حسن أن المتنبئ كان يتعمد الإغراب أو يتكلف القوافى التى لاتخلو من عسر * أوغير ذلك ، وقد يؤاخذه على تكلفه فى الأسلوب أحيانا ، ولكنه لم يسقطه كشاعر بأى حال من الأحوال ، بل لم يكن يخلو من الإعجاب الشديد به ، وإن ذكر أنه لم يكن يحبه [5] .

ويرى بعض الباحثين المحدثين أن المتنبى لسعة ثقافته اللغوية ارتكب الضرورات ، وعمد إلى الإغراب [6] ، والحق أن هذا الباحث ينطلق من ملاحظات القدماء لينتهى إلى عدد من السمات التى يتسم بها شعر المتنبى . مثل اعتماده على القياس الذى لم يرد عنه سماع فى الاشتقاق ، كأن يصوغ اسم الفاعل من غير الثلاثى مباشرة . أو يستخدم المفردات استخداما يخالف الشائع من استخدام العرب لها ، تذكيراً وتأنيثا وتثنية وجمعاً . وقد يخالف فى النحو فينصب الفعل المضارع بعد أن المحذوفة ، وتجنبه الجمع المألوف إلى غير المألوف . كما يشير الباحث كذلك إلى مايصاب به كثير من أبيات الشاعر من تعقيد لما يتعمده من مخالفة قواعد النحو واللغة فى تركيب الجملة ، كأن يفصل بين أجزاء الجملة بمعترضات ، مثل الفصل بين الفعل وفاعله ، أو بين الفعل ومفعوله ، أو بين الفعل ومتعلقه أو بين المبتدأ وخبره [7] وغيرذلك .

---

(١) ابن طباطبا العلوى . عيار الشعر . تحقيق دكتور محمد زغلول سلام . منشأة المعارف :الاسكندرية ١٩٨٠ ص١٩ ، ٢٠
(٢) العمدة جـ ١ ص ٢١٠ ، ٢١٢
(٣) مع المتنبي ص ٣٦٩ ، وانظر مجلة المورد . مجلد ٦ . عدد ٣ . ص ٢٩
(٤) المرجع السابق ص ٣٧٠

* وهو ما يشير إليه الصاحب بن عباد في رسالته عن مساوىء المتنبى

(٥) انظر الدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد ، دراسات عربية ص ٥٤ ، ٥٥ حيث أن طه حسين كان – على عكس ما قاله من أنه لا يحب المتنبى مفتونا بشعر المتنبى وشخصه .
(٦) صاحب أبو جناح . المتنبى والمشكلة اللغوية . مجلة المورد العراقية . مجلد ٦ . عدد ٣ ، ١٩٧٧ ص ٢٦ ، ٢٧
(٧) انظر مجلة المورد . مجلد ٦ ، عدد ٣ ، ١٩٧٧ ص ٢٣ – ٤١

مخالفاته لقواعد بناء الجملة ، لأن هذا الترخص ، يعرض عبارته للغموض ، وإن كانت بعض الاتجاهات النقدية ترى فى ذلك دليل على الإبداع .

وقد رأينا يوهان فك يأخذ على المتنبى أنه يعامل المثنى معاملة الجمع مع أنه يرى أن هذه ظاهرة شائعة فى اللهجات العربية (١) وغير ذلك من الظواهر اللغوية الأخرى التى تؤخذ عليه لها سند من السابقين (٢) ولكننا نرى «فك» حائراً فيما يتصل بالتأكد مما إذا كان الشاعر يخالف الاستعمال المشهور والصحيح بتأثير التراث أو بتأثير اللغة المولدة . فيقول صراحة : «وفى مثل هذه الأحوال لايتيسر الفصل فى إرجاع الأمر إلى الاستعمال اللغوى للعربية المولدة ، أو إلى رخصة الشعر ، جريا على طريقة اللغة الشعرية القديمة» (٣) .

ويقصد «بهذه الأحوال» ماذكره من استعمال الشاعر «لأن» الناصبة مع الفعل المضارع المرفوع ، وصياغة أفعل التفضيل من أسماء الألوان (٤) ومن الفعل الرباعى مباشرة ، حيث لاحظ أن الشاعر تسنده فى هذا أمثلة من الأستعمال القديم الفصيح (٥) .

وإذا كان ابن سيدة يدافع عن المتنبى أحيانا فإنه يهاجمه أحيانا أخرى . لمخالفته قواعد اللغة كفصله بين المبتدأ والخبر – وهذا مجرد مثال نسوقه ، فيقول : عن قوله :

أنى يكون أبا البرية آدم   وأبوك والثقلان أنت محمد

فيقول : «هذا محال من القول وسفه ، أى إنك أنت الإنس والجن ، وأبو محمد ، هذا يعنى أبا الممدوح ، فما لهذه البرية وادعائها آدم أباها ، وهذا من قبيح الضعف ، وطريق السخف ، وقد دخل به العقاب فى أنه لم يحسن تأليف البيت ، ولم يوفق لإقامة إعرابه ، ألا تراه يفصل بين المبتدأ والخبر بجملة أجنبية فى قوله (وأبوك والثقلان أنت محمد) . وموضع الكلام : أبوك محمد ، والثقلان

---

(١) يوهان فك . العربية . ص ١٧٦ ، ١٧٧

(٢) انظر ابن سيدة . شرح المشكل من شعر المتنبى ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ، ١٩٧٦ ص ٤٨ ، ٤٩ حيث يدافع عن المتنبى فى قوله :

أبعد بعدت بياضا لا بياض له   لأنت أسود فى عينى من الظلم

استخدامه كلمة أسود ، حيث أن أسود هنا ليست للتفضيل

(٣) ، (٤) ، (٥) العربية مرجع سابق ص ١٧٨ .

وليس من المبالغة القول إن قصيدة المتنبى أكثر روعة وأصالة وشاعرية من قصيدة السموأل على جودتها . ويرى الدكتور يوسف خليف فيما يتصل بلغة الشاعر وشاعريته ، أن أهمية المتنبى تكمن فى أنه حرر الشعر العربى من قيود الصنعة البديعية ، وعاد به إلى عصور أصالته الأولى ، لأن أسلوب أبى تمام فى البديع لم يعد صالحا فقد أصبح يمثل قوالب جامدة فاقدة للحيوية (١).

وهى ملاحظة دقيقة تبين الاختلاف الجذرى بين أبى تمام والمتنبى . وهو الاختلاف الذى أشار إليه القدماء ، فمنهم من يراه يشبه البحترى فى بعض شعره ، ومنهم من يراه يشبه أبا تمام ، ومنهم من يرى غير ذلك مفضلا إياه عليهما معا . ولكن من المؤكد أن للمتنبى أسلوبه الخاص الذى لا يحاكى فيه أحدا .

إذا كان طه حسين قد قال : إنه لم يصحب معه فى رحلته إلى أوربا إلا ديوان المتنبى فلم يكن خالى الذهن عن المتنبى من قبل ، وحتى لو قال إنه لايحب المتنبى أو لا يحفل به ، فإن هذا لايمنع أنه ملم بالمتنبى إلماما لا أظنه قليلا سواء بحياته أو بشعره ، ولهذا فإنه على صلة بما قال القدماء لا عن حياته وحدها ، بل وعن شعره أيضا . وقد أشار القدماء إلى أن المتنبى لم يكن يقرأ المحدثين ، ويعيب الشعراء المحدثين أو أبا تمام خاصة (٢) .

وقد أخذ عليه الحاتمى وهو خصمه ومعروف بالتحامل عليه ، أنه سرق معنى بيته التالى :

ذى المعالى فليعلون من تعالى   هكذا ، هكذا ، وإلا فلالا

شرف ينطح النجوم بروقيه   وعز يقلقل الأجبالا

من قول أبى تمام :

همة تنطح النجوم وحظ   آلف للحضيض فهو حضيض (٣)

فالخبر يذكر أن المتنبى يزعم أنه لم يقرأ لأبى تمام شيئا ، ولكنه يذكر على لسان المتنبى نفسه ، أنه يحفظ له أشعارا ، لأن المتنبى يستشهد بأحد الأبيات لأبى تمام . فليس المتنبى من

(١) د. يوسف خليف . تاريخ الشعر العربى فى العصر العباسى . دار الثقافة . القاهرة ، ١٩٨١ ص ١٨٠ .
(٢) الشيخ يوسف البديعى . الصبح المنبى عن حيثيّة المتنبى . ص٢ . دار المعارف القاهرة ١٩٧٧ ص ١٤٣ .
(٣) المرجع نفسه ص ١٣٧ – ١٣٨ .

ويبالغ البديعي فيزعم أنه قد أخبره من يثق به أنه لما قتل المتنبي وجد ديوانا أبي تمام والبحتري معه ، ووجد على حواشي الديوان علامات تبين كل بيت سرق معناه من شعرهما [1] ، وهو أمر نشك في صحته بعد أن قتل المتنبي ، ونهب ما كان معه ، ولم يعثر على شئ كان يملكه .

ولما كان طه حسين قد سبق إلى الحديث في هذا الموضوع ، أعني عيب المتنبي للمحدثين ، فقد لاحظ أن المتنبي وهو يمدح حفيدي البحتري لم يشر إلى جدهما من قريب أو بعيد ، فاستدل بذلك على أنه كان يتجاهل الشعراء المحدثين ، فقال : «ونلاحظ أنه في هذه القصائد الثلاث لم يذكر البحتري الشاعر جد ممدوحيه ، ولم يشر إليه . ولعل هذا يلائم ما كان معروفا عن المتنبي من الإمعان في قراءة شعر المحدثين ، وأدب البلغاء ، والادعاء مع ذلك أنه لا يقرأهما ، ولا يحسن العلم بهما حتى افتضح في ذلك» [2] .

---

(١) الصبح المنبي ص ١٨٦ .

(٢) مع المتنبي ص ٦٢ ، ٦٣ وانظر آدم متز . الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري . جـ١ . ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده . دار الكاتب العربي ، بيروت : لبنان ص ٥٠٢ حيث يشير إلى كثرة أخذه من ابن المعتز ، وعدم إشارته إلى ذلك أو اعتراقه بالنظر إلى شعر المحدثين

المبالغة والتأثر بأبى تمام

يقف الدكتور طه حسين عند مبالغات المتنبى ، ويرى فيها دليلا على أن الشاعر قرمطى ، وأن تلك القرمطية تمس عقيدته الدينية ، وتفسد الناحية الفنية فى شعره . فهو يمدح من يدعى محمد بن زريق فيقول :

بشر تصور غاية فى آية	تنفى الظنون وتفسد التقييسا
وبه يضن على البرية لا بها	وعليه منها لا عليها يوسى
لو كان ذو القرنين أعمل رأيه	لما أتى الظلمات صرن شموسا
أو كان صادف رأس عازر سيفه	فى يوم معركة لأعيا عيسى
أو كان لج البحر مثل يمينه	ما انشق حتى جاز فيه موسى
أو كان للنيران ضوء جبينه	عبدت فكان العالمون مجوسا (١)

ويعلق الدكتور طه حسين على تلك الأبيات بقوله : «وما أظن هذه الأبيات تحتاج إلى شرح أو تعليق لنستخرج منها إغراق المتنبي فى المبالغة وإسرافه فى تجاوز الحدود الدينية الذى جاءه من قرمطيته» (٢) .

وقد طعن بعض القدماء فى عقيدته بسبب بعض أشعاره التى تتسم بالمبالغة . كقوله :

يترشفن من فمى رشفات	هن فيه أحلى من التوحيد (٣)

وقوله :

ونصفى الذى يكنى أبا الحسن الهوى	ونرضى الذى يسمى الإله ولايكنى (٤)

وقوله من قصيدة يمدح بها العلوى :

وأبهر آيات التهامى أنه	أبوكم وإحدى مالكم من مناقب (٥)

---

(١) ، (٢) مع المتنبي ص ٧٧ وانظر العمدة جـ ٢ . ص ٥٣ حيث يبين الناقد اختلاف الآراد حول المبالغة وانظر المرجع نفسه ص ٥٥ حيث يدافع عن المبالغة فى مقابل الغلو .

(٣) الصبح المبني ص ٣٨١ .

(٤) ، (٥) المرجع نفسه ص ٣٨٢ وانظر أيضا المرجع نفسه ص ٣٨٢ ، ٣٨٣ لمزيد من الأمثلة .

فهو إنما يعتذر لأبى الطيب ، لأن ما يؤخذ عليه يتسامح فيه مع غيره ونذكر قدامة بن جعفر وموقفه من المبالغة ، وهو ممن يفضلونها يقول : «إنى رأيت الناس مختلفين فى مذهبين من مذهب الشعر ، وهما : الغلو فى المعنى إذا شرع فيه ، والاقتصار على الحد الأوسط فيما يقال منه» (١) . ثم يقول بعد عرض هذا الاختلاف حول المبالغة أو الغلو : «إن الغلو عندى أجود المذهبين ، وهو ماذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما . وقد بلغنى عن بعضهم أنه قال : أحسن الشعر أكذبه ، وكذلك يرى فلاسفة اليونانيين فى الشعر على مذهب لغتهم» (٢) .

ومع أن هذا هو مذهب بعض النقاد القدماء فى المبالغة ، فإن طه حسين - وهذا من حقه - يعيب مايراه معيبا منها عند المتنبى . وقد أخذ على المتنبى بعض القدماء : «الإفراط فى المبالغة ، والخروج منه إلى الإحالة» (٣) ويكشف البديعى عن الاختلاف حول المبالغة بين النقاد من مستحسن لها إلى مستهجن . فيقول : «... فهو مما لا يستهجن فى صنعه الشعر ، على أن كثيراً من النقدة لايرتضون هذا الإفراط» (٤) ، ولكن القدماء لم يربطوا بين المبالغة أو الإفراط وبين عقيدة الشاعر السياسية أو الدينية كما يفعل طه حسين ، وإنما اعتبرت لديهم أسلوبا فى التعبير يرتضيه بعض النقاد ، ولا يرتضيه بعضهم الآخر .

ونود فى هذا المجال من دراستنا للتناول الفنى لشعر المتنبى على يد طه حسين أن نشير إلى ماقيل من أخذ المتنبى من شعر أبى تمام ، وهى تهمة قديمة وجهها إليه خصومه من القدماء ، وليس طه حسين هو أول من أشار إليها ، وإن كان قد جعل المتنبى مجرد مقلد لنهج الأقدمين ولأبى تمام منهم خاصة (٥) . ويرى بلاشير أن شعر المتنبى فى الفترة من سنة ٣١٦ - ٣٢١ هـ كان متأثرا بالشعر القديم ويغلب عليه أثر أبى تمام والبحترى (٦) . ولكن طه حسين لايكتفى بوسم المتنبى بالتقليدية ، بل يفضل أبا تمام عليه ، وإن كان قد قصر هذا التفضيل على استخدام الطباق وحده (٧) ، فقال : «والشاعر يذهب مذهب أبى تمام فى هذه الملاءمة اللفظية بين «لائم» ،

---

(١) قدامة بن جعفر . نقد الشعر . تحقيق كمال مصطفى . مكتبة الخانجي . القاهرة ، ط ٣ ، ١٩٧٨ ص ٥٨
(٢) المرجع نفسه ص ٦٢
(٣) الصبح المبني . مرجع سابق ص ٣٧٥
(٤) المرجع نفسه ص ٣٧٦
(٥) مع المتنبى ص ١١٢
(٦) دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٣٦٥
(٧) انظر مجلة المورد العراقية العدد ٣ ، المجلد ٦ ص ٥٢ . حيث تنبه بلاشير إلي ظاهرة الطباق في شعر المتنبي وإلي حسن استخدامه له ، واستشهد بقول الشاعر :
=

ويذهب إلى رأى قريب من هذا الأستاذ شكيب أرسلان فيقول : «ومما لامشاقة * فيه هو أن أبا تمام الطائى أجزل شعرا وأمتن لغة ، وأعلى نفسا ، وأن أبا عبادة البحترى أطلى نظما ، وأرق نسجا ، وأعذب لغة ، فليس عند المتنبى قوة أبى تمام فى الجزالة ، ولا ملكة البحترى فى السلاسة ولكنه يعلو على الإثنين علوا كبيراً فى الأمثال والحكم وجوامع الكلم ...» (١) .

فهو يثنى على المتنبى ثناء عاطرا قبل أن يفضل عليه أبا تمام ، ويجعل كل ميزته - مع ذلك - تتمثل فى الحكمة وجوامع الكلم ، وإن كانت الحكمة من بدائعه ، فإنه ليس شاعرا كبير بالحكمة وحدها ، كما أنه لايقل شاعرية عمن أشار إليهم . إن مثل تلك الأحكام هى أحكام ذوقية خاصة وغير مبررة .

بل يذهب بعض المعاصرين إلى أنتقاص أبى الطيب لأنه مدح بشعره أو استغرق المديح جل هذا الشعر . فيقول الأستاذ سليم عبد الأحد : «وغريب أن شاعرا فذا كأبى الطيب لم يسلم من هذه النقيصة إذ لم ينزه قلمه عما يجب أن تعف عنه النفس ، بل وقف قريحته على مدح الأمراء والأغنياء طمعا فى نوالهم . فإذا أجزلوا له النوال أجزل لهم الثناء ، وإذا طووا عنه الكشح قلب لهم ظهر المجن ، وسلقهم بألسنة حداد ، ذلك لأن عرض الدنيا فى نظره كل شئ» (٢) .

ويذهب أحمد أمين إلى أن نقطة ضعف المتنبى هى المديح الذى أضاع حياته يصوغه للولاة والأمراء والملوك ، راحلا إليهم منتظرا لعطائهم ، ومحاولا أن يكون فى خدمتهم ، لا فى خدمة مشاعره الحقيقية (٣) .

والواقع أن هذا الكلام يتجاهل وضع الشاعر المادح وظروفه ، وطبيعة العصر الذى ظهر فيه (٤) ، وبخاصة إذا كان هذا الشاعر متكسبا ، فما كان المتنبى يستطيع أن يتغنى عواطفه

---

* لعلها لامشاحة
(١) المرجع نفسه ص ٧٣
(٢) المرجع نفسه ص ٧٩
(٣) المرجع نفسه ص ٢٣
(٤) وقد ذهب بعض المحدثين إلي تفضيل شوقى علي المتنبي، وتوخى في هذا التفضيل أن ينحى باللائمة علي المتنبي ، انظر علي سبيل المثال عباس حسن . المتنبي وشوقى . دار المعارف ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٧٢ ص ٣٧ ، ص ٢١٧ وقد اعترض على ذلك الدكتور احمد زكى أبو شادى انظر احمد زكي أبو شادى . قضايا الشعر =

البيئات التى أثرت فى شعر المتنبى

ونرى طه حسين وهو يدرس شعر المتنبى يلاحظ أثر البيئة والخبرة والتجربة فى نضج شعره . فكثيرا ما يتحدث عما أصاب نفس المتنبى من آلام ومحن ، ويبين أثر ذلك على شعره . فهو يتحدث مثلا عن المتنبى بعد خروجه من السجن بقوله : «فخرج يستقبل حياة جديدة ليست أقل من حياته الأولى بؤسا وضنكا وشقاء ، وبيعا للشعر فى سوق الكساد . ليست أقل من حياته الأولى بؤسا ، ولكنها تخالف حياته الأولى فى جوهرها . فقد كان فى حياته الأولى شقيا بالأمل ، وهو فى حياته الثانية شقى باليأس . وقد كان فى حياته الأولى يتحرق شوقا إلى عظائم الأمور ، وجلائل الأعمال ، وهو فى حياته الثانية يؤثر العافية وما يكاد يظفر بها ، ويبتغى الراحة وما يكاد ينتهى إليها ، وقد كان فى حياته الأولى شديد الثقة بنفسه ، عظيم الإيمان بعزمه ، وهو فى حياته الثانية شاك فى نفسه أشد الشك ، قانط عن عزمه أشنع القنوط . وقد كان فى حياته الأولى ساخطا على ماضيه ، متبرما بحاضره ، طامعا فى مستقبل باسم فيه الرضا وتحقيق الآمال ، وهو فى هذه الحياة الثانية نادم على ماضيه الذى جحده ، ملتاع على مستقبله الذى يئس منه [1] .

وهو يطيل فى بيان الحالتين اللتين كان عليهما الشاعر وما يثور فى نفسه لأن «هذه الحالة النفسية أبلغ الأحوال تأثيراً فى نفس الشاعر الحساس وأشدها انضاجا لهذه النفس ، وهى من غير شك أخصب الأحوال التى تمر بنفس الشاعر ، لأنها تنضجها وتشد أزرها ، وتعلمها احتمال المكروه ، وتعلمها كذلك تذوق الألم والتفريق بين أنواعه المختلفة ، واستعذابه مهما يكن ممضا ، وتهيئة الشاعر الصحيح للنبوغ الصحيح» [2] . وكأن طه حسين يطبق المثل القائل "لايجعلنا عظماء غير ألم عظيم" ، ويمضى فى بيان آثار تلك الآلام النفسية على الشاعر ، والتى قد أحدثت فى نفسه وفكره تحولا .

أما اهتمامه ببيئة المتنبى فظاهر من بداية الكتاب ، مثل حديثه عن ميل الصبى إلى الثورة والقتال والدم ، فهو – أى طه حسين – يرى فى البيتين التاليين –

لا تحسن الوفرة حتى ترى	منشورة الضُفْرَيْنِ يوم القتال
على فتى معتقل صعدة	يعلها من كل وافى السِّبَال

---

(١) ، (٢) مع المتنبى . مرجع سابق ص ١٠٥

أبا عبد الإله معاذ إنى	خفى عنك فى الهيجا مقامى
ذكرت جسيم ماطلبى وأنا	نخاطر فيه بالمهج الجسام
أمثلى تأخذ النكبات منه	ويجزع من ملاقاة الحمام
ولو برز الزمان إلىّ شخصا	لخضب شعر مفرقه حسامى
وما بلغت مشيتها الليالى	ولا سارت وفى يدها زمامى
إذا امتلأت عيون الخيل منى	فويل فى التيقظ والمنام [1]

فيتخذ طه حسين من الأبيات دليلا على صراحة المتنبى فى مذهبه القرمطى أو العربى يقصد التعصب للعرب - حتى أشفق عليه بعض الناس . وهى أحكام - كما قلنا - غير مبررة ولا سند لها سوى الظن ، أو الإعتماد على جودة شعر الشاعر أثناء إقامته عند التنوخيين ، وهى إجادة قد يكون لها أسباب أخرى متعددة غير مجرد الإقامة لدى التنوخيين وتشجيعهم له ، أو إطمئنانه إلى تحقيق هدفه كما يرى .

ويربط بين جودة شعر المتنبى وتحرقه إلى الثورة [2] . ويربط كذلك بين نضج شعره وبين عواطفه الثائرة [3] . فنضج شعر المتنبى مرتبط بنضج ثورته ، ورقى شعره لدى التنوخيين ناجم عن تشجيعهم له على الثورة سرا ، ومع كل تلك الاستنتاجات عن شعر المتنبى لدى التنوخيين وعن علاقته بهم ليست إلا ترجيحا لا دليل عليه لدى الباحث ، بل إنه لا يستطيع القطع بأن مدح الشاعر للتنوخيين ، كان فى اللاذقية التى كانوا يعيشون فيها ، أو بعد خروجه منها ، وهو أيضا لا يملك الدليل على بقاء الشاعر فيها [4] .

ويختلط مفهوم القرمطية عند طه حسين بمفهوم العروبة ، حيث يرى أن المتنبى كان له مذهب أشمل ، وأعم من القرمطية والتشيع ، وأن هذا المذهب يتمثل فى جمع كلمة العرب واسترداد سلطانهم [5] .

---

(١) المرجع نفسه ص ٥٢ ، ٥٣ .
(٢) مع المتنبى ص ٨٥ .
(٣) المرجع نفسه ص ٨٤ ، ٨٥ .
(٤) المرجع نفسه ص ٧٩ .
(٥) المرجع نفسه ص ٨٦ ، ٨٧ .

ويختلف الباحثان فى أسباب ثورة المتنبى . فالمتنبى عند محمود شاكر علوى يريد أن يسترد نسبه وحقه فى الحياة ، وهو عند طه حسين قرمطى ثائر يريد أن يقضى على الملوك الأعاجم ، ويصبح شيئا مهما .

أما المرحلة الثالثة [1] ، فكانت عند سيف الدولة ، ويرى أن شعر المتنبى فى مدحه يمثل أروع شعره ، بل يراه من أجمل الشعر العربى كله وأروعه . ويشير الى ما قاله فيه من شعر كثير ، لم يقل فى أمير أو ملك من قبل [2] . وجودة شعر المتنبى فى سيف الدولة ذكرها البديعى ، مُبَيِّناً علة ذلك قائلا : "وأحسن قصائد أبى الطيب فى سيف الدولة ، وتراجع شعره بعد مفارقته ، وسئل عن سبب ذلك فقال : قد تجوزت فى قولى ، وأعفيت طبعى ، واغتنمت الراحة ، منذ فارقت آل حمدان ..." [3] . ويبين البديعى عن أثر الثقافة الأدبية فى تلك البيئة مثل وجود الشعراء الكبار كأبى فراس وأبى العشائر وغيرهم [4]

ويذهب بلاشير إلى رفض الرأى الذى يذهب إلى أن أجود شعر المتنبى هو ما قاله فى سيف الدولة ، ويرى أن شعره هذا هو استمرار للمرحلة الشعرية السابقة على ذهابه إلى بلاط سيف الدولة والتى تبدأ من منتصف سنة ٣٢٩هـ - ٣٣٧هـ ، تلك المرحلة التى إمتلك فيها المتنبى ناصية البيان وأصبح له أسلوب واحد لا يتغير حتى وفاته [5]

ولا ينى الدكتور طه حسين يكشف عن أثر البيئة الحمدانية على كثرة شعر الشاعر وتنوعه ، ووصفه لجهاد سيف الدولة للروم ، ويرى أن تلك الإجادة فى وصف الجهاد لا ترجع إلى إعجابه بسيف الدولة ، أو إثارة إعجاب الناس به ، إنما كان يصور عاطفة خاصة به ، يحسها أثناء مشاهدته وقائع الحرب بين سيف الدولة والروم ، كما كان يصور انفعالات المسلمين فى أثناء استعداد للحرب ، والاشتراك فيها ، أو بعد الانتصار على العدو ، أو الفرار منه [6] .

---

(١) انظر دائرة المعرف الإسلامية حـ ١ ص ٣٦٦ ، ٣٦٧ حيث يقسم بلاشير شعر المتنبي إلي أربع مراحل . مرحلتان أولي وثانية تبدآن من ٣١٦ وينتهيان سنة ٣٢٥ ، ويكون شعر الشاعر فيها تقليدى عادي متأثر بالتراث السابق كشعر أبي تمام والبحترى . ومرحلة ثالثة تمتد من ٣٢٥ - ٣٢٨ هـ وتمثل ببدر بن عمار وما قبلها بقليل حيث بدأ الشاعر يرقي فنيا ويكتب المطولات . ثم مرحلة رابعة تمتد من ٣٢٩ - ٣٣٧ هـ أى من مفارقته بدر بن عمار حتي تعرفه علي سيف الدولة . ويخالف الباحثين جميعا فى أن شعر المتنبي في سيف الدولة ، لا يعد أرقي شعره ، بل يراه امتداداً للمرحلة الرابعة ، أى قبل تعرفه بسيف الدولة ، لأنه عندئذ نضج وتملك ناصية البيان .

(٢) مع المتنبى ص ١٦٩

(٣) الصبح المبنى . مرجع سابق ص ٩٨

(٤) المرجع نفسه ص ٩٨ ، ٩٩

(٥) دائرة المعارف الإسلامية حـ ١ ص ٣٦٧

(٦) مع المتنبي مرجع سابق ص ١٧٤

الموجود الذى أشار إلى ثقافة المتنبى ونضج شعره فى هذه المرحلة ، وهو النضج الذى يكشف عن ثقافة واسعة لدى الشاعر [1] .

ولكن طه حسين يرد جودة شعره إلى البيئة وحدها : فيقول : "وإذن فمن الحق على المتنبى لنفسه أن يعنى بفنه أشد العناية وأدقها ، وأن ينتفع بكل ماحوله لتصبح هذه العناية خصبة منتجة حقا ، وقد فعل المتنبى من غير شك ، فتأثر عقله وشعوره بهذه البيئة الجديدة ، وظهرت آثار هذا كله فى شعره الذى قاله فى هذا الطور" [2] . وهذا الذى يذكره طه حسين يرى محمود شاكر رأيا مخالفا له ، وهو أن سيف الدولة كان عربيا ، فأحبّه المتنبى لهذا السبب [3] ، ولكن طه حسين يرى رأيا آخر فى رقى شعر المتنبى فضلا عن البيئة ، وهو رقى شعر المتنبى فى تلك المرحلة : "... لأنه ملك ناصية الفن حقا ، وجعل يتصرف بالفاظه ومعانيه كما كان يتصرف بها الفحول ، وأثبت شخصيته قويّة واضحة ممتازة من غيرها ، وأصبح مرآة لنفسه لا لأبى تمام ولا للبحترى ، وأصبحنا نستطيع أن تقرأ القصيدة من شعره فتقول : إنها قصيدته هو لم يتأثر بها هذا الشاعر أو ذاك على حين كنا قبل هذا الطور من أطواره نقراء القصيدة من شعره فنحس وراءها المثل الذى احتذاه ، والنوذج الذى اتبعه ... إلخ" [4] وإن كنا نخالف الدكتور طه فيما قاله بشأن تقليدية المتنبى فى الطور السابق على مرحلة حياته فى بلاط سيف الدولة ففيها كثير من القصائد التى لا تعد تقليداً ولا محاكاة ، بل هناك كثير من القصائد فى تلك المرحلة السابقة على معرفته بسيف الدولة استجادها طه حسين نفسه . فإننا نرى أن بلاط سيف الدولة قد كان له أثر فى تجويد المتنبى ، كما أن سيف الدولة ربما كان له أثر كذلك فى هذا التجويد ، ولكننا نرى أن أساس تجويد المتنبى هو عبقريته الفذة التى لم نجد لها مثيلا فى عصره ، ولا قبل عصره فى تاريخ الشعر العربى ، وهى عبقرية أصبح صاحبها محنكا خبر الحياة وذاق حلوها ومرها ، وإلا فإذا كانت البيئة هى سر الشاعرية ومذكية نارها وهى دافعة الشعراء وحدها إلى التجويد ، فلما ذا لم يرتق شعراء عصره إلى مستواه ، وقد كانوا يعايشونه فى تلك البيئة ، وفى غيرها من البيئات الأخرى .

ويرى طه حسين أن البيئة المصرية أثرت فى المتنبى [5] ، ولذلك قل سقطه فيها ، فالبيئة الثقافية المصرية ، أثرت على شعره [6] ويمتدح طه حسين شعره فى هذه البيئة الجديدة [7] . ويقف

---

(١) أبو الطيب المتنبى ، دراسة لغوية نحوية ولغوية . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ، ١٩٩٠ ص ٣٠ ، ٣١
(٢) مع المتنبى ص ١٨٢ .
(٣) محمود شاكر . المتنبى جـ ١ ص ١٩٩ .
(٤) مع المتنبى . ص ١٧٨ .
(٥) ، (٦) ، (٧) المرجع نفسه ص ٢٨٨ – ٢٩٠ .

فى المدح ، ولكنها تتجاوز حدودها ، لتصبح مثارا للضحك والهزل أحيانا كقوله :

ومـــا طربى لمّـــا رأيتـــك بدعـــــة   لقد كنت أرجو أن أراك فأطرب [١]

ويقول العكبرى فى شرح البيت : «قال الواحدى : هذا البيت يشبه الاستهزاء ، لأنه يقول طربت على رؤيتك كما يطرب الإنسان على رؤية القرد ، وما يستملحه مما يضحك منه ، قال أبو الفتح : لما قرأت عليه هذا البيت قلت له : جعلت الرجل أبا زنّة وهى كنية القرد فضحك» [٢] وما أظن أن هذا كله عن وعىّ من المتنبى أو رغبة منه ولعلها تكون تعبيرا عن مشاعر لا وعية يحسها دون وعى .

ويذهب الدكتور نعمان القاضى إلى أن مديح المتنبى فى كافور هو هجاء مهما جاء مقنعا وغير مباشر [٣] وقد أتخذ الدكتور نعمان من هجاء كافور دليلا على ما يقول [٤] وقد نبه الدكتور طه إلى خطأ ذلك .

ويمضى الدكتور طه إلى الحديث عن جمال شعر المتنبى فى البيئة المصريّة ، ويعلن إعجابه بعدد من قصائده كالبائية التى قالها فى مدح كافور والتى مطلعها :

أغالـــب فيــك الشـــوق والشـــوق أغلب   وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب [٥]

وهناك فكرة أخرى هامّة حول المديح فى شعر المتنبى . فقد لاحظ بعض القدماء أن المتنبى يشرك نفسه مع ممدوحه فى قصيدة المديح [٦] ، كما رأى بعض المحدثين وهو محمود شاكر أن المتنبى تظهر شخصيته فى قصيدة المديح ظهورا بارزا فى شعره قبل أن يتصل بسيف الدولة ، فلما اتصل به أخفى شخصه من قصيدة المدح ، إلا عند ما كان يستثيره حساده وأعداؤه من الشعراء أو غيرهم فإن شخصيته تظهر فى ذلك المديح [٧] ، ولكن الدكتور طه حسين يرى رأيا آخر فهو يرى أن المتنبى قد تعرض لكيد خصومه فى بلاط سيف الدولة حتى اضطر : «إلى أن يدافع

---

(١) ديوان المتنبي حـ ١ شرح العكبري . دار الفكرة لبنان . ص ١٨٦
(٢) انظر المرجع نفسه ص ١٨٧ الهامش
(٣) نعمان القاضى . كافوريات أبى الطيب ص ٢٩٤ – ٣٠٣
(٤) المرجع نفسه ص ٣٠١ ، ٣٠٢
(٥) ديوان المتنبي حـ ١ . شرح العكبرى ص ١٧٦
(٦) انظر الصبح المنبى ص ٤٣٠ .
(٧) محمود شاكر . المتنبى جـ ١ ص ١٨٣ .

فيراها ليست تصويراً للحمى ولكن لحزن الشاعر [1] وإعجابه بالقصيدة لالبراعتها الفنية ولكن لتصويرها لأحزان الشاعر وحسرته ويأسه - وإن كان يعترف للقصيدة بقيمتها الفنية الخالصة [2] وقد أعلن الجرجاني إعجابه بالقصيدة ، واستشهد بأبيات كثيرة استشهد بها طه حسين كما استشهد بغيرها ، ولكن طه حسين يهتم بدلالتها على نفسية المتنبى ، وما حل به في مصر . [3]

ويستشهد العقاد كذلك بأبيات من هذه القصيدة وهو يتحدث عن المتنبى وذلك فى "البلاغ" فى ٢١ ديسمبر ١٩٢٣ ، وهما قوله :

يقول لى الطبيب أكلت شيئاً	وداؤك فى شرابك والطعام
.وما فى طبه أنى جواد	أضرَّ بجسمه طول الجمام [4]

ويمضى طه حسين فى تصوير أحزان المتنبى فى مصر وأسبابها تصويرا لما يتصل منها بكافور . وكيف ساءت تلك العلاقة عند ما طلب من كافور ولاية فى الشام أو فى مصر ورفض كافور ذلك يقول صاحب الصبح المنبى : «وسأل أبوالطيب كافورا أن يوليه صيداء من بلاد الشام أو غيرها من بلاد الصعيد ، فقال له كافور : أنت فى حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سَمَتْ نَفْسُكَ إلى النبوّة فإن أصبت ولاية وصار لك أتباع ، فمن يطيقك ؟ ثم وقعت الوحشة بينهما ، ووضع عليه العيون والأرصاد خوفا من أن يهرب» . [5] ولا أظن أن الأمر قد تم بين المتنبى وكافور بهذه الصراحة ، ولا بهذه الكيفيّة ، ولكن هناك أبياتاً فى قصيدته البائية التى مدح بها كافور والتى يقول فيها :

أبا المسك هل فى الكأس فضل أناله	فإنى أغنى منذ حين وتشرب
وهَبْتَ على مقدار كفَّىْ زماننا	ونفسى على مقدار كفيك تطلب
إذا لم تنط بى ضيعة أو ولاية	فجودك يكسونى وشغلك يَسْلُب [6]

فأبوالطيب يطلب صراحة ضيعة كالتى وهبها له سيف الدولة من قبل أو ولاية ، وهو طلب صريح ، ولعله كان أكثر ميلا إلى الثانية منه إلى الأولى وما نظن إلا أنّ كافور أخذ يؤمله ، ويطمعه دون أن يحقق له وعدا أو أملا [7] .

---

(١) مع المتنبى ص ٣١٩ ، ٣٢٠

(٢) المرجع نفسه ص ٣١٩

(٣) انظر الوساطة ، مرجع سابق ص ١١٩ - ١٢١

(٤) عباس محمود العقاد . مطالعات في الكتب والحياة . دار المعارف . القاهرة ١٩٨٧ ص ١٥١

(٥) مع المتنبى ص ٣١٧ - ٣١٩

(٦) الصبح المبنى مرجع سابق ص ١١٢ ، ١١٣

(٧) المرجع نفسه ص ١١٨

قصيدة المديح عند المتنبى

لا يخطى من يرى أن قصيدة المديح عند المتنبى هى الأغلبيّة الساحقة من شعره . ويكون على صواب تماما إذا رآها تصور عبقريته أتم تصوير . ولكننا قبل أن نتكلم عن قصيدة المديح عنده من خلال رأى طه حسين نعرض لموضوع وثيق الصلة بشعر المديح عنده ، وهو وصف الطبيعة الذى يراه الدكتور طه حسين شعرا لا خطر له ، لأن الخطير عند المتنبى شيئان نفسه ليعبدها ، والناس ليبغضهم أشد البغض [1] فهو لا يهتم بالطبيعة المصريّة ، ولا الآثار المصريّة ولا الحياة المصريّة ، عند جاء إلى مصر لمدح كافور ، كما كان هذا هو شأنه قبل أن يفد إليها من الشام ، وبعد رحيله من مصر إلى الكوفة ، وبغداد وشيراز وغيرها [2] وإذا كان المتنبى – فى رأى طه حسين – بدوى الطبع ، فإنه لا يصور البادية التى تلائم طبعه هذا ، فقد كان مشغولا بنفسه ، أولا وقبل كل شىء [3] ، ويجمل رأيه فى شعر الطبيعة عند المتنبى قائلا : «قلت لك : إنه كان يمر بالمدن والقرى ولا يكاد يراها ، بل أغرب من هذا كله أنه خرج ذات ليلة من قصر سيف الدولة فصادف نهر قويق ، وقد مدّ وطغى على شاطئيه ، فقال فى ذلك رجزاً ، ولكنك تقرأ هذا الرجز ، فلا ترى فيه النهر ولا ماءه ، وإنما ترى فيه سيف الدولة ، لأنه اتخذ هذا المظهر الشعرى الذى كان خليقا أن يلهم شعراً جميلا وسيلة إلى مدح سيف الدولة ووصفه بالكرم والجود ، كدأبه حين يرى السحاب متكاثفا ويرى المطر منهمرا ، فلا يفتح الله عليه إلا باتخاذ السحاب والمطر وسيلة إلى تملق من كان فى حاجة إلى أن يتملقه من الناس» [4] وقد وضع طه حسين هنا يده على سبب تجاهل المتنبى لوصف الطبيعة فى ذاتها ، وهو اتخاذها وسيلة للمدح ، وهو – لذلك – لا يلتفت إليها إلا لحظات قصار ، ولا يتخذها فى الغالب إلا أداة لمدح الممدوحين ، فهو عندما يصف الأسد لا يفعل ذلك إعجابا بالأسد فحسب ، وإنما يصفه أولا وقبل كل شىء ليصل من خلال وصفه إلى مدح ممدوحه بدر بن عمار بالشجاعة وإن كان فى أثناء ذلك ، ومن خلال قدرته على الوصف وشاعريته الفذة أن يأتى بصور جميلة فى ذاتها لوصف الأسد . كقوله :

---

(١) مع المتنبي ص ٢٩١ بتصرف يسير

(٢) المرجع نفسه ص ٢٩٢ ، ٢٩٣

(٣) المرجع نفسه ص ٢٩٢ .

(٤) المرجع نفسه ٢٩٣ وانظر أنيس المقدسي «الوصف في شعر المتنبي» . الهلال . اغسطس ١٩٣٥ ، ص ٤٦ ، ٤٧ حيث يرى أن المتنبي لم يصور ما جابه من السهول والجبال والبادية والحضر ، ومناظر العمران من أنهار وبحار وجبال ورياض وقصور ، وهو لا يذكر ذلك إلا عرضا ، ومع أن تلك الأوصاف العرضية جميلة فإنها لا تفي ، كما يأخذ عليه أنه لم يصف مصر والنيل والأهرام ، وغيرها كما يجب أن توصف .

بالطبيعة امتزاجا مدهشا ، صرفه عن نفسه [1] وهو رأى نخالف فيه الباحث الكبير ، لأن المتنبى لم يتجاوز طريقته المألوفة فى الوصف والتى نرى أن الوصف فيها فى خدمة المديح ، ولا نرى امتزاجا لنفس الشاعر بالطبيعة ، كما لا نرى حرارة فى هذا الوصف ، وإنما هو وصف تغلب عليه الأفكار الذهنية للشاعر ، وهى أوصاف تصور الطبيعة من الخارج ، وقلما تتعمقها ، بل نزعم أن الشاعر لم ينس ذاته أثناء ذلك الوصف ، كما لم ينس ممدوحه - كما قال طه حسين ، أما ظهور ذات الشاعر غير ممتزجة بالطبيعة فتظهر فى مثل قوله :

فسرت وقد حجبن الشمس عنى ... وجئن من الضياء بما كفانى
وألقى الشمس منها فى ثيابى ... دنانيراً تفر من البنان (٢)

وقولـه :

ولو كانت دمشق ثنى عنانى ... لبيق الثرد صينى الجفان (٣)

وقولـه :

منازل لم يزل منها خيال ... يشيعنى إلى النو بنذ جان (٤)

وتأتى رشاقة القصيدة من وزنها . وتظهر فيها أفكار المتنبى الذهنية كقوله :

أبوكم آدم سن المعاصى ... وعلمكم مفارقة الجنان (٥)

فإذا وصف الشاعر الأسود ، فماذا يقول فيها بعيدا عن المديح : يقول :

أجارك يا أسد الفراديس مكرم ... فتسكن نفسى أم مهانٌ فمسلم
ورائى وقدامى عداة كثيرة ... أحاذر من لص ومنك ومنهم
فهل لك فى حلفى على ما أريده ... فإنى بأسباب المعيشة أعلم
إذا لأتاك الخير من كل وجهة ... وأثريت مما تغنمين وأغنم (٦)

فهو لم يصف الأسد وإنما حاول أن يتخذها وسيلة للكشف عن أحاسيسه ومشاعره ، أو

---

(١) مع المتنبي ص ٣٦٨
(٢) الديوان جـ ٣ . شرح البرقوقى ص ٣٨٦
(٣) المصدر نفسه ص ٣٨٧
(٤) المصدر نفسه ص ٣٨٨
(٥) ، (٦) المصدر نفسه ص ٣٨٩

ويمضى طه حسين إلى أن شعر المتنبى فى شيراز قد اكتسب سمات جديدة فى لغته وإيقاعه ، وربما خياله كذلك [1] ولا يكتفى بذلك بل يمضى إلى القول : "وما أتردد فى الجهر بأن المتنبى لو أطال الإقامة فى فارس والاستمتاع بما كان يستمتع به فيها من الخفض والأمن والنعيم ، لتغير مذهبه الشعرى تغيرا قويا جدا ، ولجاز أن يحدث فى الشعر العربى فنا جديدا ، لم يسبق إليه ، ولم يتح لأحد من العرب بعده أن يحدثه ، لأن نبوغه واستعداده لم يتاحا لشاعر عربى من الذين زاروا بعده هذه البلاد" [2] .

ولما كانت مسألة الاستحسان عند طه حسين مسألة ذوقية ، فإننا سنجد من يخالفه الرأى حتى من القدماء ، فيرى العكبرى أن شعر المتنبى فى شيراز كان أقل جودة من شعره فى مصر وفى بلاط سيف الدولة . يقول : "سألت شيخى أبا الحرم مكى بن ريان الماكسينى عند قراءتى عليه الديوان سنة تسع وتسعين وخمسمائة : ما بال شعر المتنبى فى كافور أجود من شعره فى عضد الدولة ، وأبى الفضل بن العميد ؟ ، فقال : كان المتنبى يعمل الشعر للناس لا للممدوح ، وكان أبو الفضل بن العميد وعضد الدولة فى بلاد خالية من الفضلاء ، وكان بمصر جماعة من الفضلاء والشعراء ، فكان يعمل الشعر لأجلهم ، وكذلك كان عند سيف الدولة بن حمدان جماعة من الفضلاء والأدباء ، فكان يعمل الشعر لأجلهم" . [3]

والحقيقة أن نبوغ المتنبى يتجاوز تلك البيئات جميعا ، فهو نبوغ نابع من موهبته وعبقريته ، وليست البيئات مسئولة عن ذلك ، وإلا فكيف حجب المتنبى شعراء عصره جميعا [4] ، وقد كان يعاصره عدد كبير من الشعراء ؟ إن البيئة قد تكون حافزا ، ولكن المعول على الموهبة .

ولسنا نرى – كما سبق أن أشرنا مخالفين فى ذلك الدكتور طه حسين – أن شعر المتنبى يمتاز بعضه على بعض فى مكان عن غيره فى مكان آخر ، وإنما نرى أن المتنبى بعد نضج شاعريته وتمكنه من ناصية القول ، أصبح شاعر مجيدا مبدعا ، وإذا وجدنا فى شعره تفاوتا فإنما هو تفاوت نابع من مزاجه ، ومن الأوضاع النفسية والعاطفية التى كان يمر بها ، ولذلك يتفاوت شعره فى كل بيئة ذهب إليها ، وعاش فيها ، فمنه الرائع المذهل ، ومنه العادى ، ومنه المصنوع

---

(١) ، (٢) المرجع نفسه ص ٢٧٠

(٣) ديوان المتنبي حـ ٢ ، ص ٣١ الهامش

(٤) انظر العمدة حـ ١ ص ١٠١ حيث يرى ابن رشيق ما يفهم منه أن المتنبي حجب جميع شعراء عصره «وأما أبو الطيب فلم يذكر معه شاعر إلا أبو فراس وحده ، ولولا مكانه من السلطان لأخفاه ، وكان الصنوبرى والخبزرزى مقدمين عليه للسن ، ثم سقطا عنه» .

ففضلت أم جندب بيت علقمة على بيت زوجها [1]

لقد وصف المتنبى الحصان كما ذكرنا ، كما وصف الخيول فى ميدان القتال ، أو وهى فى طريقها إلى حرب العدو ، وكأنها آلة النصر وأداته ، وهو إذ يصفها يتخذ من ذلك الوصف وسيلة لتصوير شجاعة سيف الدولة وعظم قوته ، وتصميمه على القتال ، وقدرته على قيادة الجيوش وحزمه ، وإصراره وما شابه ذلك من الصفات . فهى كالسيوف والرماح التى يملكها الفرسان ، ولو أننا حاولنا أن نفهم لماذا لا يشير الشاعر إلى من يركبون تلك الخيول من الفرسان ، لعلمنا أن هذا كله يهدف إلى إبراز صورة واحدة هى صورة سيف الدولة .

ولقد رأى بعض الباحثين : "أن التمجيد كل التمجيد هنا لخوارق الأرض وهى الخيل ، أما الأبطال أو الفرسان ، فإن الخيل تحملهم ، كما تحمل الحديد ، وليسوا هم خوارق الأرض ، فالخوارق هى الخيل وحدها . إذن فإحساس المتنبى بالخيل أقوى من إحساسه بالفرسان" [2] .

فهو فى قصيدته التى مطلعها :

ذى المعالى فليعلون من تعالى	هكذا هكذا وإلا فلالا [3]

وهى قصيدة طويلة تبلغ خمسة وأربعين بيتا لا يذكر الفرسان إلا فى بيت واحد وهو قوله :

فى خميس من الأسود بئيس	يفترسْنَ النفوس والأموالا [4]

ولكنه يذكر سيف الدولة فى القصيدة مرات عدة وينسب إليه الفضل كله يقول :

حال أعدائنا عظيم وسيف الد	ولة ابن السيوف أعظم حالا
رب أمر أتاك لا تحمد الـ	ـفعال فيه وتحمد الأفعالا
وهم البحر ذو الغوارب إلا	أنه ثار عند بحرك آلا
ما مضوا لم يقاتلوك ولكـ	ـن القتال الذى كفاك القتالا
والذى قطع الرقاب من الضر	ب بكفيك قطع الآمالا
وإذا حاولت طعانك خيل	أبصرت أذرع القنا أميالا
ووجوها أخافها منك وجه	تركت حسنها له والجمالا

(1) الآمدى . الموازنة . تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٥٩ ص ٣٦ ، ٣٧

(2) الدكتورة نسيمة راشد الغيث . التجديد فى وصف الطبيعة بين أبى تمام والمتنبى دار المشارق ص ٢٩٧ .

(3) الديوان حـ ٣ ص ١٣٤

(4) المصدر نفسه ص ١٤٦

تظـــن فـراخ الفتــح أنك زرتهـــا بأماتها وهى العتاق الصلادم [1]

فالممدوح هو محــور القصــيدة ، وهو قطب الرحى فى هذه المعــركة ، فهو الفارس الذى ليس فى الجيش فارس غيره ، وهو الشجاع إلى حد يفوق الخيال ، ويتجاوز المعقول والمألوف ، وهــو الذى يحارب ، وهو الذى ضم الجناحين على القلب ، وهو الذى نثرهم فوق الأحيدب . وهكذا ثم يقــول :

وقــد فجعــته بابنــه وابن صهره	وبالصهر حملات الأمير الغواشم
يســـر بما أعطــاك لاعن جهــالة	ولكن مغنــوما نجــا منــك غـــانم
ولســت مليــكا هـــازما لنظــيره	ولكنك التوحــيد للشــرك هـــازم
تشــرف عدنــان بــه لاربيعــة	وتفتخر الدنيا به لا العواصــم [2]
لك الحمد فى الدر الذى لى لفظه	فــــإنك معطــية وإنــى نـــاظم
ألا أيها السيف الذى ليس مغمدا	ولا فيــك مرتــاب ولامنك عاصـــم
هنيئا لضرب الهام والمجد والعلا	وراجـــيك والإســـلام أنك ســـالم
ولم لا يقى الرحمن حدبك ما وقى	وتفليقه هام العــدا بــك دائــم [3]

وهكذا نلاحظ أن سيف الدولة هو الممدوح ، وهو كل شىء فى المعارك التى تدور رحاها بينه وبين الروم . وهذا هو أسلوب المتنبى فى مدحه . وإذا ذكر المتنبى جيوش العدو فإنما ليبيّن أنها لا شىء أمام شجاعة ممدوحه . وإذا ذكر الملك المعادى صوره فى صورة المهزوم المخدوع بقوته ، الذى لا يشك فى الهزيمة تناله على يد سيف الدولة .

قلنا من قبل إن وصف الطبيعة ليس مقصودا لذاته ، ولا يفرد بقصائد خاصه فى الغالب عند المتنبى وإنما يأتى فى سياق القصيدة ، وقد لا حظنا أن المتنبى وصف الأسد كما وصفه غيره وأنه جاء بالجديد المبتدع فى هذا الوصف ، ويرى الدكتور طه حسين ، أن المتنبى خلع على الأسد صفات الفتوة والقوة التى استمدها من نفسه ثم خلعهما على ممدوحه ، فروح القوة الذى يحسه الشاعر قد دفعه إلى وصف الأسد لتشبيه ممدوحه به [4] ، وقد أشارت باحثة إلى قول طه حسين

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٨٨ – ٣٨٩

(٢) المصدر نفسه ص ٣٩٠ ، ٣٩١

(٣) الديوان جـ ٣ ص ٣٩١ ، ٣٩٢

(٤) انظر مع المتنبى ص ١٣٢

لـذاك أهيـب عنـدى إذا أكلــمه	وقيــل إنـك مسـبور ومسـئول
من ضيغم من ضراء الأسد مخدره	ببطـن عثر ، غيـلٌ دونـه غيـل
يعدو فيلحـم ضـرغامين عيشـها	لحـم من القـوم معفـور خراذيـل
إذا يسـاور قـرنا لا يحـل لـه	أن يترك القـرن إلا وهـو مغـلول
ولا يـزال بواديـه أخـو ثقـة	مطرّح البزّ والدرسـان ماكـول (١)

فأنت تراه يستغرق فى وصف صورة الأسد ، وكأنها هى الأساس أو هى الهدف الأول من هذا الوصف .

ويمكن القول إن المتنبى كان يستخدم بعض مظاهر الطبيعة فى كثير من أغراض شعره ، ولكن هذا لا يعد وصفا للطبيعة خلافا لرأى من يرى هذا (٢) ، فالقمر والشمس والنجوم ليست وصفا للطبيعة ، وإنما هى أدوات للتشبيه فحسب ، ولكن الشاعر لو وصف القمر ، أو النجوم فى ذاتها فى قصيدة ، وبين موقفه منها ، وأبدع فى ذلك كان هذا وصفا للطبيعة وما يستخلص من استغلال المتنبى للشمس أو للقمر فى مدح الممدوح أو وصف المرأة يدل على معاناة الشاعر الذى كان مسبوقا بهذه الأدوات وعليه أن يعيد تشكيلها ، ولا يمكن أن يعيدها على أية صورة ، وإنما فى صورة تبدو فيها جديدة مبتدعة (٣) .

ويشير باحث آخر إلى إلحاح المتبنى على بعض النماذج أو الصور يكررها فى مديح سيف الدولة فى استغلال المقابلة بين اسم سيف الدولة وبين السيف الحقيقى ، إذ يجعله مرّة سيفا ، أو يفضله على السيف مرة ، أو ينفى أن يكون سيفا على الحقيقة . (٤) وقارىء هذه الأمثلة يلاحظ التكلف الغالب على هذا اللون من الاستخدامات الفنية فى الشعر (٥)

---

(١) نفسه ص ٢٢ ، ٢٣

(٢) انظر . التجديد في وصف الطبيعة . مرجع سابق ص ٣٦٣ - ٢١٨

(٣) انظر المرجع السابق ص ٣٦٢ - ٢١٨

(٤) المرجع نفسه ص ٢٤٢

(٥) انظر شعر المتنبى قراءة أخرى ص ٩٠ ، ٩١ حيث يذكر أمثلة كالأمثلة التالية :

عزاءك سيف الدولة المقتدى بـه	فإنك نصل والشدائد للنـصل
مقيم من الهيجاء في كل منـزل	كأنك من كل الصوارم في أهـل

أو قولـه :

لقد رأت كل عين منـك مالـها	وجربت خير سيف خيرة الدول

الغــــزل

يتصل الغزل بالمديح اتصالا وثيقا لأنه كان يستخدم في مطلع قصيدة المديح ، وهو نصيب الشاعر من القصيدة ، وكأنه الجزء الذاتي منها "وبذلك انقسمت القصيدة قسمين : فالمقدمات بما فيها من غزل ووصف هي للشاعر ، والقسم المدحي هو لإرضاء غرور الممدوح ، وإذاعة صيته" (١) .

والمتنبي في هذا القسم الغزلي يبدو وكأنه يبذل جهدا كبيرا في ربطة بالغرض وهو المدح ، وقد يوفق في هذا وقد يخفق ، بل قد يقع في التكلف المضحك أحيانا فإنه في قصيدته التي مطلعها :

أثلث فإنا أيها الطلل	نبكي وترزم تحتنا الإبل (٢)

حيث يقول : متخلصا من الغزل إلى المدح :

قالت : ألا تصحو فقلت لها	أعلمتني أن الهوى ثمل
لو أن فنا خسر صبحكم	وبرزت وَحْدَكِ عاقة الغزل
وتفرقت عنكم كتائبه	إن الملاح خوادع قتل
ما كنت فاعلة وضيفكم	ملك الملوك وشأنك البخل
أتُمنَعِينَ قرى فتفتضحي	أم تبذلين له الذى يسل
بل لا يحل بحيث حل به	بخل ولا جور ولا وَجَلُ
ملك إذا ما الرمح أدركه	طنب ذكرناه فيَعْتَدِلُ (٣)

وقد يأتي الغزل بيتا واحدا لا أكثر تقوله :

ضروب الناس عشاق ضروبا	فأعذرهم أشفهم حبيبا (٤)

ثم يتحدث الشاعر عن نفسه في ثلاثة وعشرين بيتا منها ، وأبياتها اثنتان وأربعون بيتا .

(١) د. شكري محمد عياد . مجلة فصول القاهرية . المجلد السادس . يناير فبراير مارس ١٩٨٦ «جماليات القصيدة التقليدية بين التنظير النقدي والخبرة الشعرية» ص ٦٥

(٢) ديوان المتنبي حـ ٣ ص ٢٩٩

(٣) المصدر نفسه ص ٣٠٢ - ٣٠٣ وانظر العمدة حـ ١ ص ٢٢٦ ويأخذ العمد علي الشاعر سقوط الشاعر إلي حد أن يجعل من نفسه قوادا ، وأن يوقع ممدوحه في الزنا . ويرى أن الفكرة من اقتراح الممدوح .

(٤) ديوان المتنبي حـ ١ ص ١٣٧

فهو يعتبر هذه الأبيات متكلفة ممعنة في التكلف، وذلك : "لأن الشاعر قد أدرك نفسه فأخفى شخصه، وتكلف ما يتكلف الشعراء من هذا النسيب المصنوع، فظهر تكلفه في لفظه وأسلوبه ومعناه." (1) وأما سر إعجابه بمطلع القصيدة، فلأنه يعبر عن معنى غامض أو رمز لذلك المعنى الغامض، وهو معنى يخفيه الشاعر ولا يفصح عنه، وهو - كما يرى - يترك تفهم من هذا الغزل ما تشاء، فليس هذا مجرد غزل عند طه حسين، ولكنه تعبير عن أحزان الشاعر منذ طفولته وحتى وقت إنشائه للقصيدة (2). ولعل طه حسين يريد أن يقول إن هذا الغزل يمثل فضلا عن كونه غزلا قرمطية المتنبي وما هو بسبيله من تحقيق آماله، ولكنه لا يفصح عن تلك الأفكار. يقول معبرا عن ذلك : "فأما عامة الناس فيفهمون من هذا الشطر الأول شدة العشق، وحدة الحب، ولوعة الهوى، وأما العارفون بأمر المتنبي فيفهمون من هذا الشطر هم الشاعر الذي يطيل ليله ويضاعف أرقه، وأمل الشاعر الذي يملأ قلبه، ويبعد عن متناوله" (3).

وعلى العموم فطه حسين غير راض عن غزل المتنبي (4)، وقد سبقه إلى هذا محمود شاكر، ورد ضعف هذا الغزل في رأيه إلى شدة عشقه لخولة أخت سيف الدولة، كما قلنا من قبل (5). وإذا كان الدكتور طه يرى ضعف غزل المتنبي بوجه عام فإنه يعجب ببعض ذلك الغزل، فيقول معربا عن ذلك : "... وهو في القسم الأول من هذه القصيدة ناسب متكلف على عهده في التسبيب ولكنه تكلف خفي جدا نكاد نحسه في المعنى، ولا نحسه في اللفظ بحال من الأحوال وغزله في هذا القسم حلو حقا يصلح للغناء، بل هو غزل خالص ليس فيه شك." (6). والغزل الذي يتحدث عنه هو قول الشاعر :

إلام طماعيـــة العـــاذل	ولا رأى في الحب للعاقل
يراد من القلب نســيانكم	وتأبى الطباع على الناقل
وإني لأعشق من عشـقكم	نحولي وكل امرئ ناحل

(1) المرجع نفسه ص 71
(2) المرجع نفسه ص 70
(3) المرجع نفسه ص 71
(4) وانظر بلاشير . مجلة المورد العراقية، عدد 3، مجلد 6 ص 49 حيث يشير إلى عدائه للمرأة ومدحها مضطرا مكرها، وليس للمرأة شخصية في شعره، وهي تذكر أكثر من كونها توصف وهي أعجوبة في الجمال والحياء والخيانة، ولكنه على كل حال غزل مصطنع وإن لم يخل من لمسات الرقة . ويرى أن غزله لا يشغل من ديوانه إلا حيزا ثانوي الأهمية .
(5) محمود شاكر . المتنبي جـ ص 228، 229
(6) مع المتنبي جـ 1 ص 217

وإذا كان هذا هو الشأن بالنسبة لأبى تمام (١) فما هو الحال بالنسبة للتنبى الذى لا حظت أنه مدح سيف الدولة بتسع وثلاثين مدحة مابين قصيدة ومقطوعة ، لم يبدأ بالغزل أو وصف الأطلال إلا فى إحدى عشرة قصيدة منها فقط . ويظهر على تلك المقدمات القليلة أو على أغلبها سمة التقليد . بل إنه يشكو من بدء القصيدة بالغزل ، وكأنه يراه قيدا على حرية الشاعر فيقول :

إذا كـان مـدح فالنسيب المقـدم ... أكـل فصيح قـال شـعرا متيـم

لحـب ابن عبد اللــه أولى فإنـه ... به يبـدأ الذكـر الجميـل ويختـم

أطعت الغوانى قبل مطمح ناظرى ... إلى منظر يصغـرن عنه ويعظـم

تعرض سيف الدولـة الدهـر كلـه ... يطبـق فى أوصـاله ويصمـم (٢)

فهو هنا يعتذر عن الغزل ويشكو من أنه ضرورة ، أو شيء متبع ، ولكنه يستخدمه وسيلة للتخلص ، فهو قد طمح ببصره إلى من هو أعظم وأجل من النساء أى سيف الدولة . ومع تقليديته فى هذا الغزل الذى يلقانا فى مطالعه ، يجيد ، كقوله فى مطلع قصيدة يمدح بها سيف الدولة أيضا ، واقفا على الأطلال :

أيـدرى الـربـع أى دم أراقـا ... وأى قلوب هذا الركب شـاقا

لنـا ولأهـلـه أبـدا قـلـوب ... تلاقى فى جسـوم مـا تـلاقى

وما عفت الريـاح لـه محـلا ... عفـاه من حدا بهم وساقا

فليت هوى الأحـبة كان عـدلا ... فحمـل كـل قـلـب ما أطـاقا

نظرت إليهم والعـين شـكرى ... فصـارت كلـها للدمـع ما قا

وقد أخـذ التمام البدر فيـهم ... وأعطـانى من السـقم المحاقا

وبين الفـرع والقـدمين نـور ... يقـود بـلا أزمتـهـا النيـاقا

وطرف إن سقى العشاق كأسا ... بها نقص سـقانيها دهـاقا

وخصـر تثبت الأبصـار فيـه ... كأن عليـه من حدق نطاقا (٣)

(١) انظر عمر فروخ . أبو تمام . دار لبنان للطباعة والنشر . بيروت . لبنان ص ١٣٦ حيث يشير إلي أن الغزل في ديوان أبي تمام أدنى فنونه مرتبة ، وأن ما يحسن منه إنما هو بفعل الصنعة ، كما يرى أن عاطفة الشعر لا تروع قارئه .

(٢) ديوان المتنبى حـ ٣ شرح العكبرى ص ٣٥٠ ، ٣٥١ وانظر اميلو عرسيه غومس مع شعراء الأندلس والمتنبي . ترجمة دكتور طاهر احمد مكى . دار المعرف القاهرة ط ٢ ، ١٩٧٨ ص ٢٠ حيث يشير إلي احتجاج المتنبى علي بدء القصيدة بالغزل .

(٣) المصدر نفسه حـ ٢ ص ٢٩٤ - ٢٩٦

بغـيرك راعيـا عبث الذئـاب وغيرك صـار ما ثـم الضرّاب
وتمـلك أنفـس الثقـلين طـرا فكيف تحوز أنفسها كلاب (١)

وقد يبدأ القصيدة فى مدحه بالدعاء له كقوله :

سـر حيث شئت يحـله النـوار وأراد فيـك مـرادك المقـدار
وإذا ارتحـلت فشيعـتك سـلامة حيث اتجـهت وديمـة مـدرار
وأراك دهرك ما تحاول فى العدا حتى كـأن صـروفـه أنصـار
وصدرت أغنم صادر عن مـورد مرفوعـة لقـدومك الأبصـار (٢)

وقد يبدأ قصيدته بالحديث عن طيف المحبوبة . كقوله :

لا الحـلم جـاد به ولا بمثـاله لـولا ادكار وداعـه وزيالـه
إن المعـبد لنـا المنام خياله كـانت إعـادته خيـال خيـاله
بتنـا ينـاولنـا المـدام بـكفه من ليس يخطر أن نراه ببالـه
نجنى الكواكب من قلائد جـيدة وننال عين الشمس من خلخاله
بنتم عن العـين القريحـة فيـكم وسكنتم ظن الفـؤاد الـوالـه
فدنـوتم ودنوكـم مـن عـنده وسمحتم وسـماحكم من مـاله
إنى لأبغض طـيف من أحبيتـه إذ كان يهجرنا زمـان وصـاله
مثـل الصبابة والـكآبة والأسى فارقـته فحـدثن من ترحـاله
وقد استقدت من الهوى وأذقته من عفتى ماذقت من بلبـاله (٣)

وليس الطيف جديدا على الشعر العربى ولكنها محاولة من المتنبى لبدء القصيدة بدءا ربما يكون جديدا بالنسبة إليه .

ويمدح المتنبى كافورا بست قصائد لا يتغزل إلا فى واحدة منها وهى التى مطلعها :

من الجـآزر فى زى الأعـاريب حمر الحلى والمطايا والجلابيب (٤)

---

(١) ديوان المتنبي جـ ١ ص ٧٥
(٢) المرجع نفسه جـ ٢ ص ٨٦
(٣) ديوان المتنبى جـ ٣ ص ٥٣ - ٥٦
(٤) ديوان المتنبى جـ ١ ص ١٥٩

يكلفنى التهجير فى كل مهمه	عليقى مراعية وزادى ربدة
وأمضى سلاح قلد المرء نفسه	رجاء أبى المسك الكريم وقصده (١)

وهكذا يمزج بين حديثه عن نفسه الذى يعد فخرا ، وبين مدح ممدوحه حتى تنتهى القصيدة وعلى أية حال فإن مدحه فى كافور كان قليلا بالقياس إلى الفترة الزمنية التى أمضاها فى مصر . ويرى الدكتور طه حسين أن المتنبى قد اسقط شعرا مما مدح به كافور من ديوانه ، وذلك لأنه خجل مما قاله فيه بغير جدوى (٢) . وهو رأى لا دليل عليه سوى الظن ، فلم يذكر أحد من القدماء ذلك ، ولكننا نرى أن المتنبى وإن كان قد أحب سيف الدولة فإنه لم يكن يحب كافورا ، ثم إن هذا الأخير لم يوله الولاية التى كان يرى فيها رد اعتباره أمام سيف الدولة . وقد لا حظ الدكتور طه حسين بحق أن سيف الدولة كان موجودا فى قصائد المتنبى التى مدح بها كافورا ، وإن كان تلميحا لا تصريحا ، وإذ لم يرد كافور للمتنبى إعتباره ، فقد فترت رغبته فى مديحه ، وقل شعره فيه ، بعد أن شعر أنه حبيس فى مصر لا يترك فيمضى لحال سبيله ، ولا تتحقق له رغبته فى الولاية .

ونضيف إلى هذا أن ما كان يقوله المتنبى من فخر أو حديث عن نفسه فى مدحه لكافور ، كان يقارب ما يقوله فى مدح كافور نفسه . مما يدل على أنه كان مهموما هما شديدا ، بموضوع الولاية عند كافور . بل أنهه جعل نفسه كفئا له ولا نستبعد كذلك أنه كان يظن نفسه أفضل منه فى قرارة نفسه . يقول مهنئا كافور بدار بناها :

إنما التهنئات للأكفاء	ولمن يدنى من البعداء
وأنا منك لا يهنىء عضو	بالمسرات سائر الأعداء (٣)

بل يشير إلى أنه وإن كان شاعرا فإن قلبه قلب ملك ، أى هو ملك ، وإن كان شاعرا يقول فى معرض حديثه عن الولاية لكافور :

يارجاء العيون فى كل أرض	لم يكن غير أن أراك رجائى
ولقد أفنت المفاوز خيلى	قبل أن نلتقى وزادى ومائى
فارم بى ما أردت منى فإنى	أسد القلب آدمى الرواء

(١) المرجع نفسه ص ٢٣ .
(٢) مع المتنبى ص ٣٠٨ .
(٣) ديوان المتنبي جـ ١ ص ٣٢ .

بانوابخرعوبة لهـا كـفل يكـاد عند القيام يقعـدها
ربحـلة أسـمر مقبلـها سبحلة أبيض مجردها (١)

وغير هذا كثير يتشوق فيه إلى المرأة ، ويقول فيها ما قاله غيره من السُّهاد والضنى والشوق والهزال ، وغيرها من قيم الغزل المعروفة ومن ذلك قوله :

عـواذل ذات الخـال فى حـواسـد وإن ضجيـع الخـود منى لمـا جـد
يرد يـداعـن ثوبـهـا وهـو قـادر ويعصى الهـوى فى سيفها وهـو راقـد
متى يشتفى من لاعج الشوق فى الحشى محـب لـهـا فى قـربـه متبـاعـد
إذا كـنت تخشى العـار فى كل خلـوة فلـم تتصبـاك الحسـان الخرائـد
ألـح على السـقم حتـى ألـفـتـه ومـل طبيبى جـانبى والعـوائـد
مـررت عـلى دار الحبيب فحمـحمت جوادي وهل تشجـو الجيـاد المعـاهد
ومـا تنـكر الدهمـاء من رسـم منزل سقتها ضريب الشـول فيها الـولائد (٢)

فليس المتنبى مشغولا بالمجد والحرب وحدهما ، وإنما هو إنسان ، له عواطفه ومشاعره ، وهو – وإن أخفى ذلك فى شعره ، لا يمكن تجريده من هذه العاطفة الإنسانية ، بل إن تحفظه فى هذا الجانب يتفق وشخصيته ، التى كان يحافظ لها على وضع معين فلا يشرب الخمر ولا يتبذل فى عواطفه . بل إنه وإن هاجم طباع المرأة وأخلاقها فى قوله :

إذا غـدرت حسـنـاء وفت بعـهـدها فمـن عهـدها ألا يـدوم لهـا عـهـد
وإن عشـقت كـانت أشـد صبـابة وإن فركت فاذهب فما فركـها قَصْدُ
وإن حقـدت لم يبق فى قلبها رضـا وإن رضيت لـم يبق فى قلبها حقد (٣)

ولكن هذا لا يعنى زهده فى المرأة ولا كراهيته لها .

ونحن مع طه حسين فى أن مقدمة القصيدة عند المتنبى ليست غزلا خالصا، وإنما يمكن أن

---

(١) ديوان المتنبي جـ ١ ص ٢٩٤ – ٢٩٨

(٢) المصدر نفسه ص ٢٦٨ – ٢٧٠ ونلاحظ هنا أنه لما شكا شوقه بدأ بشكوى الزمان كما قلنا . فقال (انظر المصدر نفسه ص ٢٧٠)

أهم بشىء والليـالى كأنـهـا تطاردنى عن كونه وأطـارد
وحيد من الخلان في كل بلـدة إذا عظم المطلوب قل المساعد

(٣) ديوان المتنبى جـ ٢ ص ٤

قصيدته التى قالها قبل فراره من مصر والتى مطلعها .

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد (١)

حيث تبدو المقدمة ذات صلة وثيقة بموضوع القصيدة ، وهو ما لقيه من سوء المعاملة من كافور ومن حوله . يقول :

أما الأحبة فالبيداء دونهم	فليت دونك بيدا دونها بيد
لولا العلا لم تجب بى ما أجوب بها	وجناء حرف ولا جرداء قيدود
وكان أطيب من سيفى مضاجعة	أشباه رونقه الغيد الأماليد
لم يترك الدهر من قلبى ولا كبدى	شيئا تُتَيِّمُهُ عين ولا جيد
يا ساقيى أخمر فى كئوسكما	أم فى كئوسكما هم وتسهيد
أصخرة أنا مالى لا تغيرنى	هذى المدام ولا هذى الأغاريد
إذا أردت كميت اللون صافية	وجدتها وحبيب القلب مفقود
ماذا لقيت من الدنيا وأعجبها	أنى بما أنا باك منه محسود
أمسيت أروح مثر خازنا ويدا	أنا الغنى وأموالى المواعيد (٢)

فهذه المقدمة وإن ظن قارؤها أنها مقدمة غزلية فحسب ، تنطوى على شكوى الشاعر مما يلقاه من زمنه ، ومن الناس ، وما يلقاه من ممدوحيه ، كما أنها تكشف عن رغبة الشاعر فى العلا ، تلك التى كانت تحركة بقوة منذ الصبا ، ولكنه لم يستطع تحقيقها على النحو الذى يريده . ونجد إشارته إلى العلا فى قصائد مدحية أخرى ، وفى مقدمتها الغزلية : كقوله :

عدمت فؤادا لم تبت فيه فضلة
لغير الثنايا الغر والحدق النجل
فما حرمت حسناء بالهجر غبطة
ولا بلغتها من شكا الهجر بالوصل
ذرينى أنل مالا ينال من العلا
فصعب العلا فى الصعب والسهل فى السهل (٣)

---

(١) ديوان المتنبى حـ ٢ ، شرح العكبرى ص ٣٩
(٢) المرجع نفسه ص ٣٩ - ٤١
(٣) ديوان المتنبي حـ ٣ ص ٢٩٠

أبنى أبينــا نحــن هــل منــازل	أبداً غــراب البين فيهــا ينعــق
نبكى على الدنيـا وما من معشــر	جمعتهـم الدنيـا فـلـم يتفرقــوا
أين الأكاســرة الجبـابرة الأولـى	كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا (١)

والغريب أن الدكتور طه حسين يرى فى قوله الشاعر "أبنى أبينا" حديث من الشاعر عن القحطانيين الذى ينتسب إليهم المتنبى فيقول: "أرأيت أنه يسجل أن القحطانية أهل منازل ينعب فيها غراب البين فالهجرة من طبعهم ، والغربة مفروضة عليهم." (٢)

وفى رأيى أن هذا الخطاب موجه للناس عامة ، وربما لجميع البشر من كافة الأجناس الذين يعيشون فى البيئة الإسلامية ، ولا يختص بالقحطانيين وحدهم .

إنها حكم عامة تمثل خلاصة تجربة الشاعر يسوقها لكل من يستطيع إدراكها . ويمضى الباحث إلى أبعد من ذلك فيرى أن الحكم الحزينة التى يسوقها الشاعر ترجع إلى أنه : "... يرى قومه مشردين ، قد تسلط عليهم من كان ينبغى أن يتسلطوا هم عليه ، واستأثر بالأمر دونهم من كان ينبغى ألا يكون له من الأمر شىء ، والطباق - كما ترى فى هذه الأبيات ... هو القوام الفنى لشعر الشاعر لا يعدل عنه ، ولا يكاد يعدل به أداة فنية أخرى ." (٣) وقد كان الطباق عند أبى تمام يمثل مذهبا ، ولم يقل أحد أنه يفعل هذا من أجل عقيدة ما ، وإنما اعتبر ذلك مذهبا فنيا .

ويرى الدكتور ابراهيم عبد الرحمن أن طه حسين استخدم فى نقده لشعر المتنبى المذهب التأثرى الذى لا يعتمد على التعليل لما يصدر من أحكام بالجودة أو الرداءة . هذا مع ما يتمتع به طه حسين من ذوق نقدى مرهف ، ولكنه ظل فى نقده لشعر المتنبى لا يخرج عن ذلك المنهج التأثرى الذى نجده فى كتب النقد العربى القديم وبخاصة فى الوساطة "والموازنة" ، "والبيان والتبين" وغيرها . (٤)

كما أنه يقيس جودة الشعر بما يحدثه من لذة ومتعة لدى من يقرؤه ، أو يستمع إليه ، ولا

---

(١) المصدر نفسه ص ٣٣٤ ، وانظر تكملة هذه الشكوى نفسه ص ٣٣٥ ، ٣٣٦

(٢) مع المتنبى . ص ٧٢ ، ٧٣ وانظر ديوان المتنبي حـ ٢ شرح العكبرى ص ٣٣٤ - ٣٣٦

(٣) المرجع نفسه ص ٧٣

(٤) دراسات عربية ، مرجع سابق ص ٩٩ ، ١٠٠

ويربط الدكتورشكرى محمد عياد بين المقدمة أو المطلع وبين باقى أجزاء القصيدة ، وكأن هذا المطلع هو الأساس فى القصيدة كلها ، بل هو المرتكز الأساسى الذى يحمل ثقل القصيدة كلها . وذلك فى معرض حديثه عن قصيدة المتنبى البائية : التى مطلعها :

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

فيقول : "ولكن أهمية المطلع تزداد فى هذا العصر الصناعى المتأنق ، إذ يقوم بدور عمود الخيمة ، ويصح أن يرفد بأعمدة ثانوية ، ولكنه يظل المرتكز الأساسى الذى يحمل ثقل القصيدة ، ويضمن توازنها :" ثم يقول بعد إيراد البيت السابق : "هذا البيت "الغزلى" يشير فى سطره الأول إلى قلق الشاعر وطلبه مالا يستطيعه ... إلخ" (١)

ويرى ڤان جيلدر Van Gelder أن النقاد العرب رأوا أنه "ينبغى أن يتنبأ المطلع بالغرض الرئيسى فى القصيدة" (٢) ، وأن النقاد كانوا واعين بأهمية البيت الأول فى القصيدة بحيث يكون عادة محملا بالعاطفة ، ويوسم صراحة بالتصريع ، ويشار به إلى القصيدة ، لأن قصائد قليلة هى التى حملت أسما أو عنوانا" (٣)

ولعل هذا يفسر لنا احتفال الشعراء بالمطلع أو بأول بيت فى القصيدة ، وهو ما كان يفعله المتنبى بإعتباره واحدا من أكبر الشعراء العرب

بقيت نقطة نريد أن نشير إليها تتصل بموضوع الغزل ووحدة القصيدة عند المتنبى ، وهى أن المتنبى كان حريصا على أن تكون قصيدة المديح عنده متصلة الأجزاء . ويشير إلى ذلك يوهان فك قائلا : "فما يدل على أن القصيدة بتمامها كانت ماثلة أمام نظر المتنبى ، من حيث هى وحدة تامة الأجزاء عند الشروع فى إنشائها ، ما يروى من أنه كان إذا نظم قصيدة يتغنى بأبياتها بيتا بيتا ، وكلما توقف مرة بدأ يتغنى من أول القصيدة ، وكان يبذل جهدا كبيرا فى الانتقال من جزء إلى آخر ." (٤)

---

(١) انظر مجلة فصول . العدد الثاني ، المجلد السادس العدد الثاني . يناير/ فبراير/ مارس ١٩٨٦ ص ٦٨ وانظر العمدة حـ ١ ص ٢٣٩ حيث يشير ابن رشيق إلي إجادة المتنبي في مبدأ القصيدة ، وفي التخلص (الخروج) وفى انهائها نهاية طبيعية ، ويراه قد أربى علي كل شاعر فى هذه الأشياء الثلاثة . ولعله يرى فى ذلك وحدة للقصيدة أو توخيا لها .

(٢) ، (٣) المرجع نفسه ص ١٥ ، ٢١ .

(٤) يوهان فك . العربية ص ١٨٦ .

المتنبى والرثـاء

يرى الدكتور طه حسين أن الرثاء لدى المتنبى ضعيف فى الغالب ، لأنه لم يكن يصدر عن عاطفة حقيقية ، وإنما كان ينظمه أداء للواجب . فهو قد لجأ فى هذا الشعر إلى فنه وعقله ، أكثر مما صدر فيه عن قلبه وشعوره ومن هنا يحس قارئه ببرودة ذلك الشعر وفتوره ، فيما عدا قصيدة واحدة هى رثاؤه لخولة أخت سيف الدولة [1] .

وإذن فكل رثاء المتنبى قبل سيف الدولة ، وأثناء إقامته عنده كان رثاء غير جيد ، ولكن رثاءه لخولة والذى نظمه وهو فى العراق بعد فراره من مصر يأتى رثاء جيدا . ولكن تعليله لجودة ذلك الرثاء لاترجع إلى أنه أحب خولة ، وإنما لما امتحن به من تجارب بعد فراق سيف الدولة ، وربما لما أصابه من كبر السن ، وطول التفكير فى الحياة والأحياء ، مما اكسب تلك القصيدة حزنا عميقا أو القدرة على التعبير عن هذا الحزن [2] .

ويرد طه حسين ببيانه لأسباب جودة قصيدة الرثاء فى خولة على محمود شاكر الذى يرى أن المتنبى كان يحمل لها عاطفة قوية أو عشقا ، وأن سيف الدولة كان يعلم ذلك ، بل إن الأمر لايتوقف عند هذا الحد . بل يتجاوزه إلى وعد سيف الدولة إياه بالزواج منها ، ولكنه وعده وأخلفه ، وأن هذا الهوى هو سر جودة القصيدة ، ودليل الأستاذ شاكر على هذه العاطفة المزعومة هو قصيدة الرثاء التى رثى بها المتنبى خولة [3] ، ولذا يستشهد بأغلب أبيات تلك القصيدة على صحة رأيه ، ونمثل ببعض الأبيات على مايقوله . كقول المتنبى :

طـوى الجـزيرة حتى جـاءنى خبر	فزعـت فيـه بآمـالى إلى الكـذب
حتى إذا لـم يـدع لى صـدقه أمـلاً	شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى [4]

أو قـولـه :

أرى العراق طويل الليل إذ نعيت	فكيف ليل فتى الفتيان فى حلب
يَظُـنُّ أن فـؤادى غـير ملتـهب	وأن دمع جفونى غير منسكب [5]

---

(١) ، (٢) مع المتنبى ص ٢٠٤ بتصرف .

(٣) محمود شاكر . المتنبى ج١ ص ٢٣١ - ٢٣٧ .

(٤) المرجع نفسه ص ٢٣٣ .

(٥) المرجع نفسه ص ٢٣٤ .

أساس أن المتنبى يكشف فيها عن فلسفة أو عن علم بطبائع الناس [1] فمن الصعب تجريد المتنبى من الإبداع فى رثائه فى أية مرحلة من مراحل عمره .

ويغالى طه حسين فى التقليل من قيمة رثاء المتنبى فى فاتك ، ويظلم الشاعر حقا ، بقوله : «وحزن المتنبى عليه كما يستطيع أن يحزن ، ورثاه كما يستطيع أن يرثى ، فى قليل من الإجادة والتأثر ، وفى كثير من الكلام» [2] ثم يقول : «وليس فى هذا الرثاء كله مايميزه عن رثاء المتنبى إلا مايشتعمل عليه من هجاء كافور» [3] .

والحق أن رثاء المتنبى لفاتك فيه كثير من الإجادة وكثير من التأثر ، وقد يصدق قول طه حسين السابق على رثاء المتنبى لفاتك فى قصيدته التى مطلعها :

حتام نحن نسارى النجم فى الظلم	وماســـراه على خـف ولا قـدم [4]

فلم يرثه إلا بخمسة أبيات ، وهى قوله فى معرض حديثه عن أبله :

مكعومة بسـياط القـوم نضربها	عن منبتِ العشب نبغى منبت الكرم
وأين منبتــه مـن بعــد منبتـــه	أبى شـجاع قريع العـرب والعجـم
لافاتك آخر فى مصـد نقصـده	ولا لــه خلـف فى النـاس كلـهم
من لاتشابهه الأحياء فى شـيم	أمسى تشـابهه الأمـوات فى الرمـم
عـدمتــه وكأنى سـرت أطلبـه	فما تزيدنى الدنيـا على العـدم [5]

وهذه الأبيات على قلتها تعبر تعبيرا جميلا عن صدق عاطفة الشاعر نحو فاتك ، وانظر إلى البيت الأخير الذى يصور الفقد أجمل تصوير ، ولكن هذا الرثاء يمتاز بميزات خاصة ، تكشف عن موقف مخالف لما يراه طه حسن فى أن رثاء المتنبى فى فاتك لايمتاز عن رثائه الآخر بشئ اللهم إلا بهجائه لكافور [6] . والحق أنه إذا كان المتنبى قد شغل فى قصيدته الميمية هذه بالتفلسف وقلل من الرثاء ، وتحدث عن أن السلطان الحق للسيف لا للقلم ، وقارن بين القوة ، وبين الفكر أو الثقافة ، فقال :

---

(١) انظر المرجع نفسه ص ٢١٤ ، ٢١٥ .
(٢) ، (٣) المرجع نفسه ص ٣٢٦ .
(٤) ديوان المتنبى ج ٤ ص ١٥٥ .
(٥) المصدر نفسه ص ١٥٨ - ١٥٩ .
(٦) مع المتنبى ص ٣٢٦ .

وكانت تهب وتخلع ، فانطوى ذلك بموتها» كما يشرح البيت الثانى بقوله : «كانت ترد حياة الملهوف والمظلوم ، بالإغاثة والإجارة والبذل ، وتغيث من يدعوها إذا دعاها بالويل والحرب» [1] وهى أوصاف لم تخلع على امرأة من قبل ، وإنما هى خاصة بالرجال من الأمراء والملوك . ثم يصفها ببعد الهمة كما يصف الممدوح من الرجال قائلا :

وهمها فى العلا والملك ناشئة ... وهم أترابها فى اللهو واللعب [2]

ففيها الرثاء الذى يبين الحزن ، وفيها المواساة ، وفيها المدح لسيف الدولة كقوله :

وأنتم نفر تسخو نفوسكم ... بما يهبن ولا يسخون بالسلب
حللتم من ملوك الناس كلهم ... محل سمر القنا من سائر القصب [3]

ثم يتحدث عن شيم الزمان وطبيعته من غدر وغيره ويختم القصيدة بالحكمة وسنعود إلى تفصيل ذلك مرة أخرى .

لكننا نلتقى فى قصيدة أخرى لرثاء فاتك ، بنمط آخر من الرثاء أكثر جودة وهى قصيدته العينية التى مطلعها :

الحزن يقلق والتجمل يردع ... والدمع بينهما عصى طيع [4]

ولنا أن ننظر بشئ من التأمل فى هذه القصيدة الرائعة الى تفوق فى رأيى رثاءه «لخولة» يقول مثلا :

النوم بعد أبى شجاع نافر ... والليل معى والكواكب ظلع
إنى لأجبن من فراق أحبتى ... وتحس نفسى بالحمام فأشجع
ويزيدنى غضب الأعادى قسوة ... ويلم بى عتب الصديق فأجزع
تصفو الحياة لجاهل أو غافل ... عما مضى فيها وما يتوقع
ولمن يغالط فى الحقائق نفسه ... ويسومها طلب المحال فتطمع

---

(١) المصدر نفسه ص ٨٨ الهامش
(٢) المصدر نفسه ص ٨٩ .
(٣) المرجع نفسه ص ٩٤ .
(٤) ديوان المتنبى ج ٢ شرح العكبرى ص ٢٦٨ .

يريد أن يرثيها دون أن يذكر اسمها ويعبر – فى الوقت نفسه – عن مشاعره الحقيقية تجاهها وتجاه الموت ، وأن يجامل أخاها فى الوقت نفسه . فلا يذكر أسمها إلا مغلفا فى البيت التاسع فتاة فى ريعان الشباب ، فيقول :

كأن فعله لم تملأ مواكبها　　　ديار بكر ولم تخلع ولم تهب

وهو هنا فى مأزق إن صرح بعواطفه فلابد أن يبرر سبب تلك العواطف فلما قال :

يظـن أن فـؤادى غير ملتهب　　　وأن دمع جفونى غير منسكب

أراد أن يبين أن هذا الدمع ليس دمع العاشق أنما هو دمع رجل الأدب الذى توفيت من كانت ترعاه ، وترعى غيره من الأدباء . ولذلك يقول وكأنه يجيب على البيت السابق نافيا عن نفسه عاطفة خاصة لاتليق به : أولا يصح له أن يظهرها فى قصيدة رثاء لأمرأة ذات مكانة وهو مجرد شاعر مؤبن ، شاكر لأنعمها وفضلها :

بلى وحرمة من كانيـة مراعية　　　لحرمة المجد والقصاد والأدب

ويورد عددا من الأبيات تجعل مدحه لها مدحا مبرراً ، ولاغبار عليه . ولكنه فى هذه القصيدة نفسها ينسى أن الموطن موطن رثاء فيصف بعض جمالها . مخالفا بذلك تقاليد المديح وواقعا فى الاضطراب اللغوى والتصويرى : فيقول :

يعلمن حين تحيى حسن مبسمها　　　وليـس يعـلم إلا اللـــه بالشـنب
مسرة فى قلوب الطيب مفرقـها　　　و حسـرة فى قلوب البيض واليلب
إذا رأى ورآهـا رأس لابســـه　　　رأى المقانع أعلى منـه فى الرُّتَبِ

وهذه الأوصاف وخصوصا فى البيتين الثانى والثالث هى من حق الرجال فى المدح لامن أوصاف النساء فى الرثاء . فقد جاء البيت التالى ليوضح مسلكه السابق فى رثائها ، وهى أنها وإن كانت أنثى فإنها غير أنثى العقل والحسب ، ولاحظ أنه لم يقل فإنها «ذكر» وإنما قال غير أنثى والفرق كبير :

فإن تكن خلقت أنثى لقد خلقت　　　كريمة غير أنثى العقل والحسب

طوى الجزيرة حتى جاءنى خبر فزعت فيه بآمالى إلى الكذب
حتى إذا لم يدع لى صدقه أملا شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بى

فالبناء فى القصيدة محكم إحكاما عجيبا ، والشاعر فيه مبدع ، ويمكن أن نتطرق إلى ر الأخت الأخرى لسيف الدولة ، وإلى نماذج أخرى غيرها ليتضح لنا نموذج الرثاء عنده .

فرثاء المتنبى للأخت الصغرى لسيف الدولة فى سنة ٣٤٤ هـ يعتمد على الخطة التالية :

أولا : العزاء الذى يقدم إلى من لا يحتاج إلى عزاء لمعرفته الكاملة بطبيعة الدنيا وكوارث الأيام :

أنت يافوق أن تعزى عن الاحـ ـباب ، فوق الذى يعزيك عقلا
وبألفاظك اهتدى فإذا عز زاك قال الذى قلت قبلا
قد بلوت الخطوب مرا وحلوا وسلكت الأيام حزنا وسهلا (١)

ثم ينتقل من ذلك إلى بيان أن حزنه حزن القوى المتماسك لا المذعور المتهالك . ثم يبين أن سبب هذا الحزن هو الوفاء والإلف ، والرعاية ثم يمزج المدح بالرثاء أو بالعزاء كقوله :

ولعمرى لقد شغلت المنايا بالأعادى فكيف يطلبن شغلا
وكم انتشت بالسيوف من الدهـ ـر أسيراً وبالنوال مقلا
عدها نصرة عليه فلما صال ختلا رآه أدرك تبلا
كذبته ظنونه أنت تبليـ ـه وتبقى فى نعمة ليس تبلى (٢)

ثم ينتقل إلى مدحه بالشجاعة ، وكأن الشجاعة نقيضا للموت وأداة للانتصار عليه .

وينتقل إلى الحكمة كقوله :

وإذا لم تجد من الناس كفوا ذات خدر أرادت الموت بعلا
ولذيذ الحياة أنفس فى النفـ ـس وأشهى من أن يمل وأحلى
وإذا الشيخ قال أف فما مـ ـل حياة وإنما الضعف ملا (٣)

ثم ينطلق إلى الحديث عن الدنيا وطبيعتها فى الغدر :

---

(١) ديوان المتنبى ج ٣ ص ١٢٣ ، ١٢٤ .
(٢) المصدر نفسه ص ١٢٧ ، ١٢٨ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

أمور أخرى تخضع لتقاليد فن الرثاء نفسه ، تلك التقاليد التى تحاسب الشاعر إن هو تجاوز الآداب التى تجب مراعاتها فى ذلك السبيل ، فما بالك إذا كانت المرثية امرأة ، وهو رثاء ليس مطروقا كثيرا فى الشعر العربى ، إلا إذا كان الشاعر يرثى زوجته أو ماشابه ذلك ، أو كانت تربطه «بالمؤبنة» صلات رحم أو قربى ، ولهذا تعمد المتنبى إخفاء الأخت الكبرى لسيف الدولة من القصيدة ، وأصبح محورها سيف الدولة . وذلك لأن الفتاة المتوفاة كانت فى سن الشباب وسوف نجد فى رثاء المتنبى لأم سيف الدولة تحرراً أكثر ومحاولة ظاهرة لتعداد مناقبها والإشادة بها . بخلاف مسلكه فى رثاء الصغرى . وقد شعر بالحرج وهو يرثى الكبرى ، ولكن شخصيته ظهرت فى رثائها ، وبرزت عواطفه فنفى عن نفسه أن تكون عواطفه من النوع المألوف ، أى من نوع العشق الذى يكون بين الرجل والمرأة . ولعل هذا الحاجز الذى أقامه والذى يشير إليه الدكتور محمود الربيعى هو لهذا السبب . نقول إن مدحه لأم سيف الدولة لم يكن فيه تحرج ولا تحفظ لأن شبهة العشق لم تكن موجودة أو قائمة ، ولن يتصورها أحد ، لأن المرأة فى سن أمه . وهو يخاطبها مباشرة مستخدما ضمير الخطاب : كقوله :

أطاب النفس أنك مت موتا	تَمَنَّتْهُ البواقى والخوالى
وزلت ولم ترى يوما كريها	تسر الروح فيه بالزوال
رواق العز حولك مسيطر	وملك على ابنك فى كمال
سقى مثواك غاد فى الغوادى	نظير نوال كفك فى النوال (١)

ويقول :

أسائل عنك بعدك كل مجد	وماعهدى بمجد عنك خالى
يمر بقبرك العافى فيبكى	ويشغله البكاء عن السؤال (٢)

وتتسع المساحة التى يشغلها رثاء الأم المتوفاة حتى تبلغ ثمانية وعشرين بيتا تقريبا . أى تحتل أكثر من نصف القصيدة . ولعل قوله :

بعيشك هل سلوت فإن قلبى	وإن جانبت أرضك غير سال (٣)

لم يشعر فى قوله بالحرج وقد آخذه عليه النقاد ، لأنه كلام قيل فى غير موضعه ، فيقول

---

(١) ديوان المتنبى ج ٣

(٢) المصدر نفسه ص ١٤ .

(٣) المصدر نفسه ص ١٥ .

وينتهى فى البيت الرابع إلى القول بأن أعداءك لو علموا بأن قريب الدار منك لاتصل إليه المنية لعاشوا بقربك طمعا فى النجاة من الموت وهو كلام سخيف خال من الشاعرية ، ولعله أسوأ ما فى القصيدة بكاملها . ولكنه ماإن يخلص من هذا الجزء ويأتى إلى الحكمة حتى تظهر شاعريته ظهورا بينا :

لابد للإنسـان من ضجعة	لا تقلب المضجع عن جنبه
ينسى بها ماكان من عجبه	وما أذاق المـوت من كـربه
نحـن بنو المـوتى فما بالنا	نعاف مالابد من شـربه (١)

إلى أن يقــول :

يموت راعى الضأن فى جهله	موتــة جالينــوس فى طبــه
وربمــا زاد عــلى عمــره	وزاد فى الأمــن على ســربه
وغــاية المفــرط فى سـلمه	كغــاية المفرط فى حــربه (٢)

فإذا أنطلق إلى رثاء عمة عضد الدولة هبط مستواه الشعرى :

استغفر اللـه لشخص مضى	كــان نــداه منتهى ذنبــه
وكـان من عــدد إحســانه	كــأنه أفــرط فــى ســبه
يريد من حــب العــلى عيشه	ولايريـد العيـش من حــبه
يحســبه دافنــه وحــده	ومجده فى القبر من صحبه
ويظهـر التذكـير فى ذكــره	ويستر التــأنيث فى حجبه
أخــت أبى خــير أمير دعــا	فقــال جيش للقنــا لبــه (٣)

وقد ستخدم الشاعر ضمير المذكر فى رثاء المرأة ، حتى إنه يعتذر عن ذلك فى البيت الخامس الذى اختلفت الآراء فى شرحه . فيقول العكبرى : «يريد أنها كانت فى المعنى تفعل فعل الرجال ، من الصنائع الجميلة ، من إيثار المعروف ، فيغلب المعنى فى ذكرها على الظاهر ، فتذكر بلفظ التذكير ، ويترك لفظ التأنيث . ويجوز أن يكون تفعل فعل الخير من الصلاح والامانة والعدالة التى هى مختصة بالرجال ، ويستر التأنيث فى حجبه ، أى هى أنثى على الحقيقة ولصونها وعفتها

(١) المصدر نفسه ص ٢١١ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢١٣ .
(٣) المصدر نفسه ٢١٣ ، ٢١٤ .

وهو هنا مدرك فى الغالب أن على سيف الدولة ألا يجزع على هذا الغلام الذى فقده : كقوله :

فإن يكن العلق النفيس فقدته	فمن كف متلاف أغر وهوب (١)
وإن الذى أمست نزار عبيده	غنى عن استعباده لغريب (٢)

ويستخدم الحكمة والتعزية القائمة على الأفكار التى لاتدفع ، كموت أجداده ومع ذلك فهو لايبكى عليهم ، فالأولى ألا يبكى على هذا العبد المملوك . وفى رثاء المتنبى لتغلب أبى وائل ابن عم سيف الدولة . نرى شيئا غريبا إذ نلاحظ أن النصف أو أكثر منه يخصصه الشاعر لمدح سيف الدولة ويخص الشاعر نفسه بالبيتين التاليين

إن نيوب الزمان تعرفنى	أنا الذى طال عجمها عودى
وفى ما قارع الخطوب وما	آنسنى فى المصائب السود (٣)

وهذان البيتان هما الفاصل بين قسم القصيدة الأول الخاص للرثاء وقسمها الثانى الخاص لمدح سيف الدولة ويشير إلى ماكان من تخليص سيف الدولة للمرثى من أسر بنى كلاب ، ومابذله فى سبيل ذلك . وهكذا يمضى الشاعرفيمدح ويرثى فى قصيدة واحدة . وهو مسلك يخالف فيه الرثاء المعهود ، بل ويخالف بعض رثائه هو نفسه : فهو فى رثائه لمحمد بن اسحاق التنوخى يرثى الرجل رثاء تقليديا وإن بدأ رثاءه بالحكمة فقال :

إنى لأعلم واللبيب خبير	أن الحياة وإن حرصت غرور
ورأيت كلا ما يعلل نفسه	بتعلة وإلى الفناء يصير (٤)

ولكن بنى عمه يستزيدونه ، فيمضى فى مدحه ، مصورا أحزانهم وما يتصف به ، ثم يختم القصيدة بمدحهم كما فعل مع سيف الدولة .

ومن المظاهر اللافتة فى رثائه أنه يحتل مساحة كبيرة فى بعض هذا الرثاء ، وبخاصة فى رثائه لجدته ، وهو رثاء تبرز فيه شخصية المتنبى بروزا شديدا . كقوله :

لئن لذ يوم الشامتين بموتها	فقد ولدت منى لأنفهم رغما

---

(١) المصدر نفسه ص ٥٢ .
(٢) المصدر نفسه ص ٥٣ .
(٣) ديوان المتنبى ج ١ ص ٢٦٣ .
(٤) ديوان المتنبى ج ٢ ص ١٢٨ .

ثم يعود إلى الحديث عن أحزان مطلقة يجوز أن تكون له وحده أو يشاطره فيها غيره : فيقول :

فإن تك فى قبر فإنك فى الحشا — وإن تك طفلا فالأسى ليس بالطفل (١)

ثم لايلبث إلا قليلا لينتقل إلى مدح قوم الطفل ، وبيان تجلدهم أمام المصائب ثم يعزى سيف الدولة فى البيت الحادى عشر قائلا :

عزاءك سيف الدولة المقتدى به — فإنك نصل والشدائد للنصل (٢)

ليمضى إلى مدحه وبيان خلقه ، وثباته أمام الأحزان وعقله الراجح ، فالأحزان والكوارث تصقله كما يصقل النّصل . ويصف شجاعته إلى غير ذلك من المعانى . ثم ينتقل إلى الحكمة والتفلسف : كقوله :

إذا ما تأملت الزمان وصرفه — تيقنت أن الموت ضرب من القتل
هل الولد المحبوب إلا تعلة — وهل خلوة الحسناء إلا أذى البعل (٣)

فالمتنبى يحتل من القصيدة ستة أبيات ، ولكنها تبرز حزنه وموقفه من الطفل المتوفى وتتحول القصيدة إلى فلسفة للحزن أو للموت . فالموت وطبيعته تبرز فى هذه القصيدة فى عدد من الأبيات كقوله :

تخون المنايا عهده فى سليله — وتنصره بين الفوارس والرجل
ويبقى على مر الحوادث صبره — ويبدو كما يبدو الفرند على الصقل
وما الموت إلا سارق دق شخصه — يصول بلاكف ويسعى بلا رجل (٤)

إلى غير ذلك . ويهمنا هنا بروز شخصية الشاعر وتحرره من الحرج لأنه لايرثى امرأة لاتمت إليه بصلة ، أو يجد من الصعب عليه التعبير عن حزنه عليها بحرية بل لابد أن يستتر فى رثائها .

وقد أشار البديعى إلى هذه القصيدة فى معرض حديثه عن رثاء أبى تمام لابنى عبد الله بن طاهر اللذين ماتا صغيرين فى يوم واحد ، وبين رثاء المتنبى لابن سيف الدولة الطفل الآنف الذكر .

---

(١) المصدر نفسه ص ٤٤ .
(٢) المصدر نفسه ص ٤٦ .
(٣) المصدر نفسه ص ٥١ .
(٤) المصدر نفسه ص ٤٧ – ٥١ .

المصادر والمراجع

دكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد ودكتور عفت الشرقاوى . دراسات عربية . مكتبة الشباب . القــاهرة ، ١٩٧٧ .

أبو تمام . الديوان . جـ ١ . تحقيق محمد عبده عزام ط ٥ ، دار المعارف . القاهرة ، ١٩٨٧ .

أبو عبيدة . مجاز القرآن . جـ ١ . تحقيق محمد فؤاد سزكين . مكتبة الخانجى . القاهرة .

أبو العلاء المعرى . رسالة الغفران . تحقيق عائشة عبد الرحمن . ط ٦ . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٧٧ .

ابن رشيق . العمدة . جـ ٢ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد . ط ٥ . دار الجيل .

ابن سيده . شرح المشكل من شعر المتنبى . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . الهيئة المصرية العامة للكتــاب . القــاهرة ، ١٩٧٦ .

ابن طباطبا العــلوى . عيار الشعــر . تحقيق دكتور محــمد زغلول سـلام . منشأة المعارف بالأسكندرية ، ١٩٨٠ .

ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ط ٢ السيد أحمد صقر . دار التراث القاهرة ، ١٩٧٣ .

أبو الطيب المتنبى . الديوان جـ ١ . شرح العكبرى . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . دار الفكر . بيروت لبنــان . د. ت .

الديوان جـ ٢ . شرح العكبرى . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . دار الفكر بيروت . لبنان . د.ت

الديوان جـ ٣ . شرح العكبرى . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . دار الكفر . بيروت . لبنان . د.ت

الديوان جـ ٤ . شرح العكبرى . تحقيق مصطفى السقا وآخرين . دار الفكر . بيروت . لبنان . د.ت

أبو فراس الحمدانى . الديوان . شرح عباس عبد الستار . ط ٢ . دار الكتب العلميّة . بيروت . لبنان ، ١٩٨٦ .

أبو المرشد سليمان بن على المعرى . أبيات المعانى من شعر أبى الطيب . اختصاره ، وتحقيق محمد محمد الصواف وآخرين . دار المأمون للتراث . دمشق ١٩٧٩ .

دكتور أحمد زكى أبو شادى . قضايا الشعر المعاصر . الشركة العربيّة للطباعة والنشر . القاهرة ، ١٩٥٩ .

آدم متز . الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى . ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده . دار الكتاب العربى . بيروت . لبنان . د. ت .

مفهوم الشعر عند العرب . ترجمة دكتور عبد الحميد القط . دار المعارف .
القاهرة ، ١٩٨٢ .

دكتور عبده بدوى . أبو تمام وقضيّة التجديد فى الشعر . الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة ، ١٩٨٥ .

دكتور عبد الوهاب عزام ، ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام . ط ٣ . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٨

على بن عبد العزيز الجرجانى . الوساطة . تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم وآخرين . دار القلم . بيروت . لبنان . د . ت .

دكتور عمر فروخ . أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم . دار لبنان للطباعة والنشر . بيروت . لبنان ، ١٩٧٨ .

العميدى . الإبانة عن سرقات المتنبى . ط ٢ . تحقيق ابراهيم الدسوقى البساطى . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٩ .

ومعه فى نفس النسخة والطبعة

١ - رسالة الصاحب بن عباد فى الكشف عن مساوئ المتنبى .

٢ - الرسالة الحاتميّة .

قدامة بن جعفر . نقد الشعر . تحقيق كمال مصطفى . مكتبة الخانجى . القاهرة ، ١٩٧٩ .

كارل بروكلمان . تاريخ الأدب العربى . جـ ٢ . ترجمة دكتور عبد الحليم النجار . ط ٢ . دار المعارف . القاهرة . ١٩٦٨ .

محمد الخضرى بك . الدولة العباسيّة . تحقيق الشيخ محمد العثمانى . دار القلم . بيروت . لبنان ، ١٩٨٦ .

دكتور محمد العبد . اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة . دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع . القاهرة ، ١٩٩٠ .

دكتور محمد عبد الرحمن شعيب . المتنبى بين ناقديه . ط ٢ . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٦٩ .

دكتور محمد عزت عبد الموجود . أبوالطيب المتنبى ، دراسة نحوية ولغوية . الهيئة المصريّة للكتاب . القاهرة ، ١٩٩٠ .

دكتور محمد فتوح أحمد . شعر المتنبى قراءة أخرى . ط ٢ . دار المعارف . القاهرة ، ١٩٨٨ .

دكتور محمد كامل حسين . أدبنا فى عصر الولاة . دار الفكر العربى . القاهرة ، ١٩٦١ .

خليل مطران . «أبو الطيب المتنبى كان عبقريا ولكن ...» الهلال . أغسطس ١٩٣٥ .

دكتور سيد نوفل «المتنبى فى سجنه» . الهلال . يناير ١٩٧٣ .

دكتور شكرى محمد عياد . «جماليات القصيدة التقليديّة بين التنظير النقدى والخبرة الشعرية» . مجلة فصول . مجلد ٦ . عدد يناير / فبراير / مارس ١٩٨٦ .

دكتور صاحب أبو جناح . المتنبى والمشكلة اللغويّة» . مجلة المورد . عدد ٣ . مجلد ٦ ، ١٩٧٧ .

عطاء كفافى . طه حسين وعباس العقاد . مجلة فصول . المجلد ٩ ، اكتوبر ، ١٩٩٠ .

على الجارم «الشاعر أبو الطيب» . الهلال . أغسطس ١٩٣٥ .

على أدهم . «هل كان المتنبى متدينا ؟» . الهلال . أغسطس ١٩٣٥ .

دكتور عيسى الناعورى . «وقفة أخرى مع أبى فراس» . صحيفة الشرق الأوسط السعوديّة . الخميس ٢ / ٦ / ١٩٨٣ .

فان جيلدر «بدايات النظر فى القصيدة» ترجمة عصام بهى . مجلة فصول . مجلد ٦ . عدد يناير / فبراير / مارس ١٩٨٦ .

فتحى رضوان . «المتنبى وكتاب لمحمود شاكر» . مجلة الشعر . يناير ١٩٧٨ .

«نسب المتنبى» . مجلة الشعر العدد ١٠ ، إبريل ١٩٧٨ .

كود فروادمومبين : «المتنبى وأسباب مجده» مجلة المورد . عدد ٣ . مجلد ٦ ، ١٩٧٧ .

لوى ماسينيون «المتنبى إمام العصر الإسماعيلى للإسلام» . مجلة المورد . عدد ٣ . مجلد ٦ ، ١٩٧٧ .

ماريوس كنار . «المتنبى والحرب البيزنطيّة العربيّة» مجلة المورد عدد ٣ . مجلد ٦ ، ١٩٧٧ .

محمد شوكت التونى . «أبوالطيب فى مصر» . الهلال . أغسطس ، ١٩٣٥ .

دكتور محمود الربيعى . «روعة الاقتراب من شعر المتنبى» مجلة إبداع . عدد ٤ . إبريل ١٩٨٥ .